محمد إقبال حرب

العميان الجدد

قصص قصيرة

مكتبة
الحبر الإلكتروني
@bookkn

العميان الجدد

مكتبة الحبر الإلكتروني
مكتبة العرب الحصرية

محمد إقبال حرب

العميان الجدد

دار النهضة العربية

رقم الكتاب : 5009
اسم الكتاب : العميان الجدد
المؤلف : محمد إقبال حرب
الموضوع : رواية
سنة الطبع : 2019م1440 .هـ ./ ط1
القياس : 14 × 21
عدد الصفحات : 229

تلفون : 854161 - 1 - 961 +
فاكس : 833270 - 1 - 961 +
ص ب : 0749 - 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 - لبنان
بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com

جميع حقوق الطبع محفوظة للشاعر

دار النهضة العربية
بيروت ـ لبنان
منشورات : دار النهضة العربية
بيروت ـ شارع الجامعة العربية ـ مقابل كلية طب الاسنان
بناية اسكندراني رقم 3 ـ الطابق الأرضي والاول

«إن المواقف والأفكار الواردة في
هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر ورأي
المؤلف ولا تلزم اية جهة أخرى»

إهداء

إلى من توكأ على بصيرته وهو بصير

الأبعاد الموضوعاتيّة في "العميان الجدد"
للكاتب محمد اقبال حرب

القصة القصيرة أثبتت كيانها في عالم السّرد، فأصبح لها بناؤها المستقل، وتُركّز القصة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد في لحظة واحدة، فالقصة هي مجموعة من الأحداث يرويها القاص وهي تتناول حادثة أو حوادث عدّة، تتعلّق بشخصيات إنسانيّة مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرّفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة النّاس على وجه الأرض. ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التّأثّر والتّأثير. والتّوتر من عناصر بناء القصة القصيرة، تكامل الانطباع منسمات تلقيها بالإضافة إلى أنّها كثيراً ما تعبرعن صوت منفرد لواحد من جماعة مغمورة.

وبين أيدينا مجموعة قصصيّة للقاص محمد اقبال حرب، وقد عنونها «بالعميان الجدد»، وبما أنّ البحث السيميائيّ يعني دراسة العلامات، فإنّ هذا العنوان يقدّم لنا دلالات نستمدّها عبر الإشارات الموحية فيه. فالعمى هو ذهاب البصر، من هنا يتبادر إلى الذّهن بأنّه يحدثنا عن مجموعة من العميان، وعن وضعهم، لكنّ القاص يعطي لهؤلاء العميان صفة وهي «جدد»، ما يُشير إلى أنّ هناك نوعاً جديداً من العميان، يختلفون في واقعهم، أو لعله يقدّم فكرة جديدة عن مفهوم العمى. وقراءة القصة تؤكّد هذا الاحتمال:» *أنا من المحظوظين الذين لم ينعموا بنعمة البصر قط، بل ممن حباهم الله بنعمة البصيرة*». إذاً القضية هي علاقة عكسيّة بين البصر والبصيرة، فوجود البصر ينفي وجود البصيرة. وهذا ما كان ينشده المتحدّث في هذه القصة.

فهل كانت البصيرة هي غاية كاتبنا في هذه المجموعة، وهل سار في منهج واضح المعالم، لينقل لنا ما ينشده؟

إشكالية مطروحة توصلنا بعد القراءة والتحليل إلى القول إنّ محمد إقبال حرب في مجموعته هذه ينهج الرمزيّة في قصصه، وهو اتّجاه ذهب إليه كتّاب القصة القصيرة، فالرّمز كما يذكر «عز

الدّين اسماعيل» بأنّه أكثر امتلاءً وأبلغ تأثيراً من الحقيقة الواقعة. والقضية ليست مرهونة بالشّكل الذي يسيطر على النّصّ الأدبيّ، إنّما بالعلاقة التّكامليّة بين الشّكل والمضمون.

فالكاتب يقدّم لنا رؤية جديدة، الغالب عليها الشّكل الرّمزيّ الفياض بالإيحاءات والإيماءات الشّعوريّة والفكريّة معاً، ويتركنا منفتحين على إيحاءات جمّة ودلالات خصبة. ففي قصة تفاح حوارٌ بين تفاحتين حمراء وخضراء تحيلنا في نهايتها إلى تفاحة آدم وعلاقة المرأة بالرّجل: «***مضغتها*** الصّبية فتفجّرت لذّة التّفاحة بين فكّيها وغشى رذاذها وجه الشاب الذي ضحك بينما يحتضن حبيبته، فيما ارتعشت الخضراء غِيرة ووقعت من على غصنها تحت أقدام الشاب الذي داس عليها دون اكتراث، بينما تُناوله حبيبته نصف التّفاحة... فتذكر جدّه ***آدم***».صراع بين تفاحتين مختلفتي اللون إشارة إلى الأبعاد الجنسيّة وإلى الغواية التي أوقعت آدم وحواء ونتج عنها نزولهما من الجنة.

فإذا انتقلنا إلى قصة «فايسو وبوكة» وجدنا القاصّ يصفها بقوله قصة حبّ عصريّة، وقد اتسّمت بالعصريّة لأنّ أبطالها من مسميّات عالم التّواصل الألكتروني، وقد أبدع في نقل أحداث هذا الحبّ، ويستمتع القارئ بقراءتها، لكنّه يكتشف في ختام القصة بأنّه قد تعرّف إلى هذا الفضاء الواسع، وعرف أصوله، وربّما تعلّم بعض تقنياته، وقد تصله رسالة الكاتب ألا وهي الابتعاد عن إدمان النت ومواقع التّواصل الاجتماعي: « لم يحتمل السيد «فايسو» الصّدمة فألغى حسابه وفتح حساباً شرعياً يستغفر فيه استغفاراً افتراضياً عن إدمانه وهلوسته».

أمّا في قصة «أسرار المخدّات»، فيرسم القاص محمد إقبال عالمًا خياليّاً، يحوّل فيه المخدّات إلى ناطقات للحقيقة التي يصعب تزويرها، وتأتي أهمية هذه القصة في قدرتها على نقل الفساد المستشري في المجتمع، ويسجّل الخداع القائم بين الزوج وزوجه، وقد يصل هذا الخداع بين الرجل وعشيقته، فهذا المجتمع قد تردّى ووصل إلى أسفل السّافلين، ولم يكن أمام المخدّات إلّا أن تكشف الحقيقة، وتعطي هذا الحق للابن الذي صُدم مما أخبرته به المخدّات، وقد أصبح يملك القدرة على تهديد الجميع: « **لن تجدوني أبداً فالمخدّات أخبرتني عنكم جميعاً وسأشغلكم جميعاً بفضائحكم قبل أن تلتقطوا أنفاسكم. تركت لكم هذه المخدّات لتشهد بالحقيقة التّافهة إن عرفتم كيف تسمعون لها. أما مخدّات البيت الأبيض وفنادق الأمم المتحدّة ومشايخ الخليج والماسونيين فهي في حوزتي. أشعر بأنّني أحكم العالم، حيث يمكنني إشعال الحروب وسرقة خزائن البنوك كما فعلت أكثر من مرة وحصلت على ما يدينكم جميعاً».** فهكذا تحوّل إلى الشبح المهدّد للمجتمع المزيّف.

واستطاع الكاتب في مجموعته القصصية هذه أن يجعلنا نعيش عوالم متعدّدة، ما بين الأرض والسماء، بين الحقيقة والخيال، بين الواقع والتّمنّي، بين المشاعر الفرحة والمشاعر الكئيبة. وهو في كل ذلك ينقل قضايا مجتمعه، ويعبّر عن بعض القضايا الفكريّة والحضاريّة، ونراه يلامس أفكار النّاس وهمومهم ومشاغلهم.

وقد لجأ الإنسان إلى السّمو في التّأمل واستغراق الذّهن في التّفكير فيلجأ إلى التّفكير العميق حول موضوع ما محاولاً اكتشاف جوانبه كافة؛ وانطلق الإنسان باحثاً في الكون والوجود والحياة وعن سرّ الوجود وعن حقيقة الرّوح والجسد وعن الموت والحياة، وصولاً إلى البحث في الماورائيات أو ما وراء الطّبيعة. ولم يكن كاتبنا بعيداً عن هذه الموضوعات، فنراه في قصة «عقد للإجار» يتطرق للقضايا الميتافيزيقيّة والماورائيّة ولقضية الجسد والرّوح، وفيها إشارة إلى التّناسخ، فهذه الرّوح قد انتهى عقد آجارها مع الجسد، وعليها أن تتنقل لجسد آخر، وقد يكون جسداً مختلفاً في الطباع والجنوسة:» أيها الرّجل عندما تولد تحدَّد مدة استخدامك لجسد وهب لاستضافتك. للجسد عمر افتراضي ينتهي عمرك بانتهاء صلاحيته. ما أنت إلا ضيف في جسد فتيّ قد هلك». فهكذا يكون الانتقال بعد أن ينتهي عقد الآجار. ويشير القاص أيضاً إلى مسألة الوجود، ففي قصة «محاق» يقول: «***أنت تفهم الوجود كباقي البشر من ناحية مادية صرفة، من مشاعر تسمونها الحواس الخمس. لكنكم تجاهلتم حاسة التجلي التي تربطكم بالنور الأسمى***». فالوجود عنده ارتباط بالنّور الأسمى وهو بالمفهوم الصّوفيّ النّور الإلهي.

إنّ البحث عن ماهية الرّوح وعلاقتها بالجسد قضية تراود فكر الفلاسفة والمفكّرين؛ وتناولت الأديان ماهية الرّوح، فقال الله في كتابه الحكيم **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}** الإسراء: (85 ، وعلى الرّغم من الوصول إلى بعض المفاهيم حول ماهية الجسد والرّوح دينياً وفلسفيّاً، إلاّ أنّه ظلّ مفهوماً غامضاً تناوله الأدباء معبّرين عن اختلاف آرائهم أو ناظرين إلى طبيعة العلاقة بين الجسد والرّوح، نظرة عميقة تؤدّي أحياناً إلى صراع اغترابيّ.

فنقرأ في قصة «الخديج» التي تمثل الصّدارة من هذه المجموعة من حيث قدرتها على عرض قضية الرّوح والجسد:»مسكين أنت ككل الأرواح الساذجة، ما أنت إلا جهاز طاقة متطور تعمل مع النفس والجسد من أجل مهمة توكل بها النفس. النفس هي صاحبة المهمة وهي المسؤولة عن الأعمال وتنفيذها، أما الجسد فيعاد تدويره إلى صناعات أخرى. لذلك يتم إرسال النفس إلى ما بعد البرزخ لتنتظر يوم الحساب بعد إتمام مهمتها. أما الروح فتعود إلى هنا كي نعيد تأهيلها للاستخدام مرة أخرى. محطات إعادة التأهيل لا تعدّ ولا تحصى مثلها مثل محطة الإرسال". تكتمل

فكرة التّناسخ عند الكاتب في هذه القصة، فيحدّد مصير النّفس/الرّوح، ويرى بأنّها تحتاج إلى تأهيل، وهنا تأتي أزمة القصة وذروتها وتطرأ عليها المفاجآت التي يعقدها وتخلق القلق في نفس القارئ، ثم ينمو فيها الصراع مع نمو الحركة بحيث تتأزم، وقد اعتمد الكاتب على المزج بين الحوار والسرد في هذه القصة، لنتبين أزمة القصة، فهذا الجسد يحتاج إلى التّأهيل، وإلى اكتشاف حقيقته: «أستغرب منكم معشر البشر، تقضون سنوات بل قروناً في بناء المحطات لاستكشاف كل ما حولكم من أرض وأدغال وحيوانات، بل أهدرتم وقتاً ثميناً من وجودكم وطاقة لا تقدَّر بثمن لاستكشاف الأرض والسماء ولم تسعوا حثيثاً». أسند القاص هذا الكلام إلى شخصية أسماها الكيان، وفي هذه القصة مكاشفة لحقيقة الإنسان على هذا الكون، وعلاقته بجسده وروحه، وجهله للأسباب التي خُلق من أجلها.

وإذا ساوى أبو العلاء المعريّ بين الموت والحياة، في قوله:

وَشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيسَ بِصَوْتِ البَشَير فِي كلّ نَادِ

فالتّناص يبرز هنا إلى حد ما فالكاتب محمد إقبال حرب يذكر في قصته:» ألا ترى أنكم تفرحون لقادم إلى دار بلاء وفناء وتولولون لراحل إلى رحمن رحيم. أليس من الأفضل أن تقيموا الأفراح لمن سيلقى رباً رحيما». نعم إنّها علاقة التساوي بين الموت والحياة، ولذلك علينا الفرح عند الموت، لأن في ذلك خلاصاً من أزمة الحياة.

وقد مثّلت هذه المجموعة القصصية لأديبنا محمد إقبال حرب تنوّعًا موضوعاتيّاً غنيّاً بالفكر والغوص بقضايا المجتمع، ونراه يتّجه إلى الجرأة في عرض بعض القضايا وتقديم أفكار جديدة غير متداولة إلّا في الأذهان، فنراه في قصة «تأميم الأجساد» يتناول فكرة الزّواج ويشير إلى رفض الزواج الواحد الدائم: «فليس من العدل أن يستمتع فرد ما بجسد مفعم بالحب والإثارة لسنوات، بينما مواطن آخر من الجنس والعمر والوطن نفسه يفرض عليه إقامة علاقة مع جسد كريه بارد بسبب غلطة اتخذّها يوم قرر أو قررت الزّواج»، فلا ضرورة لاستمرار الحياة الزوجيّة، ولهذا كانت الدعوة إلى تحرير الأجساد.

ويتطرّق في قصه «القيصر» إلى أزمة اجتماعيّة مهمة ألا وهي تربية الأبناء، ويعرض لمسألة الأمومة بأسلوب مشوّق وسلس يدفع القارئ إلى الإبحار في طيات القصة ليصل في ختامها إلى مغزاها من دون الشّعور بوخز الضّمير لتوجيه اللوم لهذه الأمومة المزيفة، «لا أعرف لماذا تريد هذه السيدة وغيرها أطفالاً من دون الالتزام باتفاقية الأمومة المنصوص عليها على صفحة

القدر... لماذا يدعين الله أن يستجيب لهن إذا لم يكن بإمكانهن التقيد بقدسية الأمومة والبقاء إلى جانب وليدها تعلمه الحُب والحنان وتعطيه أمان القلب والمشاعر»، فليست كلّ من أنجبت تستحقّ لقب الأمومة، خصوصاً مع انتشار الخادمات وتنقّل الأطفال بينهن، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى قضية الخدم ودورهم في هيكلية الأسرة حديثاً.

وإذا تميّزت هذه المجموعة بالموضوعات الغنيّة، فنجد في قصة ‘‘اللون الثّامن’’ إشارة إلى واقع لبنان بتعدّد مذاهبه وأطيافه:’’ بأي لون سنصبغ قناعاً يخفي حقيقة مشاعرنا؟! كيف لا يريدنا أن نختفي بظلال الألوان؟ بل كيف سنغوي ضعاف النفوس ونطمس عيونهم عن النقاء بألوان خادعة؟ نحن السّبعة ملوك الألوان مع قوس قزح سيدنا الوقور قررنا أن نعين المنشور سيدًا بدل الطيف اللعين المتآمر مع الحقيقة لإذلالنا. اقتلوا الحقيقة .... اقتلوا الطّيف»، تلميح مبطن إلى تعدد الأحزاب بألوانها السّاعيّة إلى الحقيقة، لكن هذا التلميح لم يتّجه إلى الإغراق في الغموض، فيكتشف القارئ المغزى من دون أن يراه ممجوجاً مبتذلاً. وقد نراه في قصة «المشيميّ» يعرض إلى معاناتنا مع زعماء فُرضوا علينا، لكنّهم في الأصل مسخ لا يُعرف أصلهم. ونعيش في قصة «حصّالة الذّكريات» رمزيّة مهمة إلا وهي مصادرة كلّ ما يملكه الإنسان حتّى الذاكرة، وفي ذلك دلالة غنيّة تُشير إلى سهولة السّيطرة على من يفقد الذاكرة، فمن لا ماضيَ/ ذاكرة له لا مستقبل له.

أمّا في قصة «ولادة معبد» فهي تحمل مضامين متعدّدة، منها الإشارة إلى التّكنولوجيا التي باتت الشغل الشاغل للمجتمع رفضاً وقبولاً، فالكهنة اعتبروا أن هذا الكائن القادم من بلاد النّور ما هو إلّا ساحرة مشعوذة لا بدّ من حرقها، ولم يتم قبول العلبة التي معها «لا أحد يعلم الحقيقة، الكهنة وصفوا العلبة بروح إبليس وألصقوا بها تهمة السحر والشعوذة بتلك القادمة من بلاد النّور كما تدَّعي فاعتبرها بعض المتنورين نبراس أمل»، هذه العلبة التي اكتشف تموز بأنّ فيها المعرفة، ومن المضامين الإشارة الى نقل هذه المعرفة، من مكان إلى آخر، وربما تُشير إلى عصر العولمة التي حوّلت الكون إلى قرية صغيرة، مع جواز وقوف القارئ مندهشًا من هدف هؤلاء الساعين إلى نشر هذه المعرفة. أمّا المعنى التّضميني الآخر فهو اختيار اسم «تموز» وما فيه من دلالة إلى الإله تموز الذي يحمل اسمه معنى الابن المخلص، وهو أحد حارسي بوابة السماء والمسؤول عن دورة الفصول عندما يبعث حياً كل ستة أشهر، ومن ألقابه الراعي والثور الوحشي ومن وظائفه الأخرى الإشراف على المراعي وهو إله الحظائر ويمثل عنصر الذكورة في الطبيعة وزوجته هي الإلهة عشتار. وموقف الكاهن في القصة إشارة إلى المواقف المتبدلّة والقدرة على اتّخاذ الرأي النقيض في الوقت المناسب، فبعد أن قاد الرفض للسّاحرة واتّهامه لتموز بالجنون، تحوّل إلى المقلب الآخر بعد

أن رُفع جسد تموز: « وما أن وصلوا إلى مذبح الآلهة حتى وجدوا الكاهن الأكبر جاثياً على ركبتيه ناظراً إلى السماء متضرعاً: إلهي تمُّوز أستغفرك وأتوب إليك، لقد أغواني الشّيطان وأبعدني عن الحقيقة. أنت الهي وهذا المعبد معبدك وسيكون تمثالك أعظم من التماثيل. سجد الرعاع وصلّى فيهم الكاهن الأكبر في معبد تمُّوز».

هذا غيض من فيض هذه المجموعة القصصية، التي بلغت قصصها ثلاثًا وثلاثين قصة، وإن تنوّعت موضوعاتها، لكن ما يربطها خط واحد يجمعها، فنحن نعيش مع هذه المجموعة في عالم الفضاء والكون، أو العالم الافتراضي، فعصرنا بات أسيراً للعالم الافتراضي الذي أصبح يقود خطواتنا، لكنّ مهارة الأديب أنه يرفعنا إلى هذا العالم البعيد أو الافتراضي، ليعود بنا إلى واقعنا الأرضيّ وإلى قضايانا الاجتماعيّة والإنسانيّة والحياتيّة. وإن كانت هذه الوريقات قد عالجت القضايا والموضوعات في مجموعة «العميان الجدد»، فإنّنا لا نستطيع نسيان ما فيها من أسلوب شاعري جميل ودفق عاطفيّ، مع اعتماد الكاتب على تقنيات الأدب والسّرد فنوّع بين السّرد والحوار والوصف، ولمسنا وحدة الحدث وتماسكه في كلّ قصة، ووحده العمل السّاري فيها، إضافة إلى قوّة الشّخصيّات ونموّها وتطوّرها، مع إبداع الكاتب في رسم هذه الشّخصيات، التي نسجها من خياله وأسقطها على هذا الواقع.

إنّ القارئ لهذه المجموعة سيشعر بمتعة القراءة وبلذة الانتقال بين عوالم متعدّدة، شاكراً للكاتب أسلوبه الجميل والمشوّق. وختاماً نبارك للأديب المبدع محمد إقبال حرب نتاجه الجديد والمتجدّد دائماً وبانتظار المزيد.

دكتورة دريّة كمال فرحات

بيروت في 13- 9 - 2016

تُفَّاحٌ

في بستان تفّاح على درب البشر، كان الفجرُ يبعث رسله شعاعات نور تتسلّل بين الأغصان باحثة عن بقايا الظّلام، لتدكّها بنور لا طاقة لها به. ما إن استشعرت الرسل قطعة من ظلام متوارية خلف أغصان شجرة تفّاح حتى ألهبتها نوراً ساطعاً، فتلاشت أشلاءَ فناء. انزاحت الستارة عن تفّاحة حمراء كانت تتزيَّن قبل الخروج إلى الملأ في حفل التّباهي. لمحتها تفاحةٌ خضراء باهتة تتدلَّى من غصن شجرة مجاورة قبل أن تنهي زينتها. أمعنت الخضراء فيها النّظر واقتحمت خصوصيتها فرأتها وهي ترتدي بريقها غير آبهة بغض الطرف وصون حرمة الجار. لم تكترث الحمراء لتحرّشها واقتحام حرمة مساحتها، أكملت لمسات التوشّي بألوانٍ متباينة، وما إن همَّت بالتدلّي على غصنها بعدما رفعت عنقها بشموخ ورثته عن أمّها الشّجرة المتأصّلة بأرض العطاء اغتاظت الخضراء من إهمال الحمراء لوجودها، فقالت لها بغضب: ما بالك تتكبّرين أيّتها الحمراء؟

ردّت الحمراء من دون أن تنظر إليها قائلة: ومن أنت لأعيرك أيّ اهتمام؟ ما أنت إلا تفّاحة خضراء باهتة، تهمل نفسها فتتسلّقها الحشرات.

الخضراء: ماذا؟ أهمل نفسي!! أيّتها الوقحة أتريدين من الخضراوات أن يكنّ مبتذلات كالحمراوات؟

ضحكت الحمراء وقالت: أيتها السّاذجة التي لا تعرف كيف تبدو جميلة، بل لعلّك ما كنت جميلة أو مغريّة يوماً.

صدم الرّد التّفاحة الخضراء وقالت بغضب: أنا لا أهمل نفسي لأنّني أحبّ أن أبقى كما خلقني ربّي.

أجابت التّفاحة الحمراء: وهل تريننني أغيِّر من خَلْقي كي أصبح إجاصة أو برتقالة؟! إن هو إلا تجميل كي أحظى بقاطف راقٍ يحملني إلى مائدة حافلة، فأنتهي بين شفاه جميلة وأسنان نظيفة،

ولعلّني أتشرّف وأُقطَّع بسكين ذهبيّ حاد فأُنهي مهمتي بشموخ وعلياء.

ضحكت التّفاحة الخضراء وقالت: كم أنت مجنونة، كلّنا سنُقطف وكلنّا سنؤكل من بشر أو حيوان و...

قاطعتها التفاحة الحمراء: شتّان بين فكّ وفكّ، وشتّان بين قدر وقدر. هناك من يصنعه القدر وهناك من يصنع قدره.

ردّت الخضراء متهكّمة: إذاً تريدين التّحكّم بالأقدار أيتها التّفاحة المتعجّرفة.

قالت الحمراء بثقة: ولِمَ لا؟ حين أقدر أن أرسم قدري للأفضل سأفعل دون تردّد.

ضحكت الخضراء وقالت: أتريدين تغيير الأقدار أيّتها الحمراء... لماذا؟ بل كيف؟

صمتت قليلاً ثم تابعت: ألهذا تُلمّعين نفسك وتنثرين درجات اللون الأحمر على بشرتك إغراء.. لا لن أفعل فعلتك أيتها المجنونة.

قالت الحمراء بثقة مطلقة: غداً عندما يمر القاطفون ليختاروا اللذيذة البرَّاقة لن ينظروا إليك. نعم، لن ينظروا إليك ولو مرّة تلو المرّة من جولات القطاف. سينتهي بك الأمر أن تتجعّد بشرتك ويخبو بريقك تحت قشرتك الباهتة وتعنّسي. ستسقطين من على غصنك ويدوسك حافر حمار أجرب قبل أن تنجزي مهمتك التي ولدت لها. بل لن يكون بمقدورك مقابلة الخالق وأنت خائبة.

أجابت الخضراء بغضب سافر: أيّ مهمّة تلك التي ستُنْهيني بين فكين لمخلوق نهم. كيف أسعى لنهايتي وأخطّط لها .مجرد التّفكير في حدة الأنياب يخيفني، أنا أرتعب من أنياب تمزّق بشرتي وتهتك كياني. أفضّل الموت ذابلة بموتة هنيئة على السعي خلف ناب كائن لا يهمه إلا التمتّع بكياني البضّ فينهشه.

تأوّهت الحمراء وقالت: ذاك طريق الجبناء بل طريق الفاشلين الخائفين من الإقدام لتقرير مصيرهم. قدر التّفاح أن يؤكل بطريقة ما، أن يقطفه قاطف وينهشه ناهش، يبيعه أو يهديه. ما كان قدري يا خضراء أن أُداس هرمة متجعّدة القشرة عفنة اللّب فتلتهمني الحشرات وتفرز بقاياها على كياني الجميل. انظري كم أنا برَّاقة جذَّابة مغرية... سأحقّق نهايتي كما أحبّ وأشتهي بعظمة وكبرياء. بل انظري إلى كيانك المهمل والشوائب التي تراكمت على بشرتك التي كانت ذات يوم ساحرة.

غضبت الخضراء وقالت: أيّتها المتعجّرفة من تظنين نفسك؟ ما أنت إلا تفّاحة على شجرة منسية مثل آلاف الثّمرات على طريق مهمل، بل ما الفرق بين نهاية ونهاية.

أرادت الحمراء أن تجيبها لكنّها رمقت حبيبين قادمين على درب البستان بدلع العشق وفرحة اللّقاء فأشاحت بوجهها عن التّفاحة الخضراء. أخذت قشرتها تحمَّر بخجل الخِدر العاشقة كلما اقترب الحبيبان وكأنهّا على لقاء مع شفاه طالما تمنت لقاءها لتتفجّر حلاوتها بين فكين في عمق كيان يعشق طعمها. سافرت عينا الشّاب بين كل الثّمرات وكلٌّ تمنِّـي نفسها بالرحيل إلى كيانه لتنهي مهمتها بسعادة.

أخيراً مُدت يده إلى تفاحة ما كي يقطفها، فارتعشت الحمراء، ارتعدت وقعت في فراغ، أغرت الشاب فأمسك بها وناولها حبيبته. ارتعدت فأخذتها حمرة الخجل من ذاك اللقاء وصلَّت لربها شاكرة على نهاية طالما تشوّقت لها.

مضغتها الصّبية فتفجّرت لذّة التّفاحة بين فكّيها وغشى رذاذها وجه الشاب الذي ضحك بينما يحتضن حبيبته، فيما ارتعشت الخضراء غِيرة ووقعت من على غصنها تحت أقدام الشاب الذي داس عليها دون اكتراث، بينما تُناوله حبيبته نصف التّفاحة... فتذكر جدّه آدم.

فايسو وبوكَّة - قصة حب عصريّة

كان الشّاب فايسو مولّعاً بالعالم الرّقمي حتى بدا وكأنّه نتاج عصر الأتمتة*، تماماً كالآنسة "بُوكَّة" وملايين العناصر البشرية التي وقعت تحت سطوة عصر العولمة الجديد. وذات يوم غير معروف على صفحات العالم الافتراضي كانت الآنسة "بُوكَّة" الشابة العصريّة الانسيابيّة تبحر على صفحات العالم الافتراضى ببراعة شقيّة، لمحها الشّاب "فايسو" بينما يتأرجّح من مكان قصيّ على حبال الشّبكة العنكبوتيّة بحنكة الخبير وجرأة رقميّة فأرسل لها طلب صداقة سريع قابلته بالاستجابة الفوريّة. قدّم لها كوب "كابوتشينو"، قصَّه بيده من صفحة موقع ايطالي معروف يشتهر بأحلى النّكهات وألصقه على صفحتها بحنان كعربون شكر، كما قدّم لها بعض الأزهار التي لونَّـها عن طريق برنامج "باينت". تقبّلت بُوكَّة الهدية وبادلته المشاعر الألكترونية "تاجات ومسجات".

تمّت خطوبتهما بعد فترة من تبادل القصائد المسروقة والصّور المنهوبة، فالتهبا عشقاً، وأعلنا خطوبتهما على "تويتر" في تغريدة جريئة. ازدانت صفحتاهما على "الفايس بوك" ومواقع التّواصل الاجتماعيّ بصور التّهنئة وعشرات "اللايكات" والنكزات. أخذها "فايسو" في رحلة استجمام إلى كثير من المواقع المباحة وغير المباحة ليثبت لها عميق حبّه. كان يغدق عليها كل يوم عشرات القبلات المتوفرّة على لوحة مفاتيح "واتس آب" وبكل الألوان فكانت تنتشي فرحاً وتخجل شاشتها فتضيء باللون الأحمر. أمضيا وقتاً ممتعاً في مشاركة التعليقات ونثر "اللايكات" على صفحات "الفايس بوك" وغرّد لها بكل الأصوات على "تويتر"، فعشقت كلماته وتراقص قلبها لتعليقاته فشكرته على موقع "لنكد إن" المرموق. وفي إحدى المرات غضبت الآنسة بُوكَّة من صديقة "فايسبوكيّة" علّقت على صفحتها بلهجة وقحة ما أثار غضب "فايسو" الذي اقتحم صفحة غريمتها وكال لها من الشتّائم ما تندى له شاشات "آبل" و "ويندوز"، وزرع لها "فايروساً" قضى على صفحتها.

قدَّرت الآنسة ‘‘بُوكَّة’’ هذا الموقف فوافقت على الزّواج منه من دون شروط. لم تشترط عليه أن يضع ‘‘بلوك’’ أو يلغي صداقة أي فتاة أو شاب، كما لم تشترط عليه عدم ‘‘نكز’’ الفتيات. تزوّجا بطريقة رجعيّة على‘‘الفاكس’’ بعد أن فشلا في إيجاد ‘‘تلكس’’ وذلك لاسترجاع التّراث في حدث جريء تحدّثت عنه جميع وسائل التكنو-افتراضي. لم يتركا شاشتهما أياماً طوالاً في شهر عسل أمضياه في أحطّ المواقع العنكبوتيّة.

بعد عودتهما بأيام وضعت السيدة ‘‘بُوكةّ’’ خبراً على صفحتها يفيد بأنها حامل ففرح جميع أهل ‘‘الفايس بوك’’ بالحمل الافتراضي ونكزوها مئات المرات فرحاً كما أرسلوا التّهاني عبر ‘‘الواتس أب’’ و‘‘الياهو’’ كما غرّدوا لها على ‘‘تويتر’’ تغاريد الفرحة كونهم سيشهدون ولادة باكورة أطفال الوهم في عالم غير موجود. فرح السّيد ‘‘فايسو’’كثيراً عندما علم بأن زوجته ‘‘بُوكَّة’’ حامل بتوأمين من ‘‘اليو أس بي’’. أخذت السيدة ‘‘بُوكَّة’’ فيتامينات خاصة عن طريق ‘‘الهاكرز’’ لتمنح طفليها مناعة ضدّ كلّ الأمراض العنكبوتيّة كما أخذت جرعات من الذّاكرة الاضافيّة كي تلد ‘‘يو أس بي’’ بطاقة واحد ‘‘تِرَّابايت’’.

وبينما كانت السّيدة ‘‘بوكة’’ مع زوجها ‘‘فايسو’’ يبحثان مستقبل طفليهما وإلى أي شركة سيرسلانهما من أجل ‘‘أب لوود’’ ناجح وسريع للمعلومات إلى طفليهما الرقميين اقتحم ‘‘فايروس’’ قاتل حساب السيدة ‘‘بوكَّة’’ بشراسة فأجهضت. حزنت السّيدة بُوكَّة وعانت الكثير ما استدعى دخولها منطقة الحظر على موقع ‘‘انتيفايرس’’ للعلاج من الكآبة الافتراضية.

لم يحتمل السيد ‘‘فايسو’’ الصّدمة فألغى حسابه وفتح حساباً شرعياً يستغفر فيه استغفاراً افتراضياً عن إدمانه وهلوسته.

* الأتمتة: آلية: هو استعمال الحاسبات ومكائن والأجهزة الآلية وذلك لتقليل حجم العمل الذي يقوم به الناس وبسرعة أكبر.

العميان الجدد

في يوم من أيّام الصّيف الجميلة، زارت الشمس بقاع العالم من دون استثناء، ووزّعت هدايا الدّفء بسخاء حتى اشتاق البشر لعاصفة باردة. لم تخب دعوات البشر ولم تذهب صلواتهم سدىً في التقاط نسمات باردة في 20 آب 2054 من موجة باردة غير متوقّعة، نسمات باكرة أنست الرّعاع حرّ الصيف. بدأ الطّقس يميل إلى البرودة في النّصف المزدحم من الكرة الأرضيّة بل ازدادت حدّته حتى ظنّ البشر أن سيِّد الكون قد أنهى مهامّ فصل الصّيف لارتكابه خطأ ما أوجب تأديبه.

بدأت الطبقات الجويّة تتّخذ لوناً قرمزياً فاتحاً، ازداد دُكْنة مع ساعات بعد الظّهر، حتى غدا الكوكب الأزرق كوكباً قرمزيّاً. لم تنعدم الرؤية بل ازدادت حدّة، فيما تضاربت الأنباء عن هذه الموجة غير المسبوقة، تلك التي فاجأت علماء الكوكب بمن فيهم وكالة ناسا التي لم ترصد أيّ إشارة لهذا الحدث. تقارير البحث الأوليّ لم تفضِ بأية إجابة إذ لم يستطع العلماء تحديد أيّ عامل إيجابيّ أو سلبيّ من خلال تحاليلهم السريعة. وما أثار تساؤلاتهم الجمّة هو ازدياد حدّة البصر وانقشاع الرّؤية لمسافات طويلة رغم كثافة اللّون الغريب الذي طغى على الغلاف الجويّ حتى أديم الأرض.

نزل الغوغاء من أنحاء الكوكب الصغير إلى السّاحات جماعات وأفراداً، بعضهم يصلّي ويبتهل والبعض الآخر يستمتع بجمال كوكب الأرض من مسافات لم يحلم أن يراها من ذي قبل. فجأة تحركّت مشاعر الإيمان المكبوتة إصراراً وعِناداً وجهلاً فأُذِّن في المآذن وقُرعت أجراس الكنائس فارتعدت فرائص لم تكن على بال. ابتهل رجال الدّين إلى الله؛ لينجّي أبناء البشر من شرور هذه الموجة التي أفتت مراجع أديان عديدة على أنها علامة كبرى من علامات يوم القيامة، على الرّغم من عدم وجود أحاديث أو أدلّة تدعم هذا الادعاء. إذ إن كونيّة الحدث فرضت هذه الفتاوى، وأذابت جليد العصبيّة الدينيّة، وسقط في يد الأثرياء والزّعماء سراب سلطتهم التي لم يستطع مسّها أحد قبل اليوم.

بدأ العويل والصّراخ في اليوم التّالي كعاصفة جارفة تتناقلها وسائل الأنباء من الشّرق تباعاً حتى الغرب، واكتمال اليوم على وجه البسيطة. جميع البشر فقدوا حاسة البصر. لم ينجُ أحد. بدأت موجة العمى من حيث بدأ اللون القرمزي تلوين القدر بلون أسود حتى مسح الكرة الأرضية ووشم أهلها بعمىً كلي من دون اكتراث للون أو عرق أو دين. اكتظّت الشّوارع بالحوادث وسقطت الطّائرات مرتطمة بأبنية وجسور ومزارع ناهيك عمن سقط في لُجَّة* البحر.

عاصفة العمى أصابت الجميع بمقتل فأسقطت الحضارة. كلّ ادعاء بشري بعظمة الجنس البشريّ تهاوى. لم يعد هناك صوت سيارة واحدة في رصيف أو خطّ سريع ولم تعد أصوات الطّائرات تؤرّق رفيف أجنحة الطّيور. أصوات الحوادث والكوارث الممزوجة بصراخ البشر وعويل الاستغاثة طغى على الأصوات. كما لم تعد الأنوار ذات أهمية، الشّبكة العنكبوتيّة الأخرى أخذت راحة من تفاهة البشر، وارتجّ على نشطاء "الفايس بوك وتويتر" الذين لم يعرفوا كيف يرسلون "سيلفي" العمى إلى عميان الكوكب. تساوى العلماء والأغبياء، الفقراء والأغنياء ذكوراً وإناثا في هذه المحنة. الجميع تائه في الطرقات، ليس ثمة رجال أمن يحفظون القانون أو دفاعَ مدني قادرون على الإستجابة. تاه الجميع، وضلَّ كلٌّ بيته، فاختلطت الأجناس والألوان والأعراق، وتمسّك كل فرد بيد استشعرها على أمل أن تهديه إلى درب الأمان. تضاعف خوف نساء الكوكب من تكاثر موجات الاعتداء والتحرّش التي يتفنّن بها بنو البشر، كل الرّجال تتحرّش بالنّساء بطريقة أو بأخرى. لذلك كانت النّساء على حذر من إصدار أي صوت أو حركة تفضي عن جنسهن، مما أدّى بهنّ إلى الانعزال في أماكن منزوية بانتظار رحمة الله. ومع ذلك كانت حوادث الاعتداء في عالم العميان أعلى بكثير من قبله. أما في المدن الكبيرة فشعر لصوص الكوارث بالعجز والخيبة، كما تفرّقت الأسر، وتاه الأولاد والكبار على حد سواء. المادّة لم تعد ذات قيمة، السّيارات الفارهة و"التُكْتُك"* تساويا مع العدم. لا يعرف أحد من أين يحصل على طعام، أين ينام بل كيف يعود إلى منزله. البعض استطاع استخدام جهاز الهاتف الذكي للتواصل عبر العزيزة "سيري" بمن يحبّ، لكنّ نضوب البطارية أعلن موت التّواصل مع الشّبكة العنكبوتيّة وضرورة الاعتماد على ذكاء لم يستعمل منذ فترة طويلة.

بعد فترة وجيزة من التّيه وانعدام الأمل على كوكب الأرض ملَّ كثير وتاه أكثر، وبات الذّعر والخوف من المجاعة والأوبئة بل الاستقرار في أيّ ركن الشّغل الشّاغل لكلّ فرد. فقط كانت الحيوانات هي من تجلَّت فسرحت ومرحت، اعتدت فجرحت وقتلت ونشرت الذعر. لم يتمكّن أحد من معرفة ما إذا كانت الحيوانات قد فقدت بصرها، واعتمدت على حواس شمّها وحدسها الفطري أم

إنها ما زالت تتمتّع ببصرها، وأهدتها بصيرتها على كائن فقد بصيرته يوم فقد حاسة واحدة من حواسه الخمس، فيما أدرك كلّ المدعين امتلاك الحاسة السّادسة أنّهم كانوا يعيشون في وهم أماطت عنه اللثام كارثة لم تكن في الحسبان.

فجأة وفي مدينة ما، سمع النّاس صوتاً بشرياً من خلال مذياع يغطي نطاقاً واسعاً من المدينة: إخواني أبناء البشر، بالغ التّهاني لتخلّصكم من وباء الكراهية، وأهلاً بكم في عالم البصيرة. أنتم خائفون تائهون لولوجكم عالمنا النّقي. نعم، النّقاء يخيف من باع جسده وكيانه وروحه لحاسة واحدة، أهلاً بكم في عالم لا يعرف العنصريّة، لا يكره أحداً للونه ولا يحبّ أحداً لجمال بشرته. عالم لا يُنبذ فيه من غطَّته قشرة البشاعة. ها أنتم تتعايشون سوياً في محنة البقاء بيضاً وسوداً، نساء ورجالاً، أغنياء وفقراء من أجل البقاء .ها قد تساويتم في قلة الحيلة وسرتم سوياً غصباً وكرهاً باحثين عن حقيقة نفوسكم في أعماقكم التي أهملتموها منذ فجر التاريخ. أهلًا بكم في عالم العمى.

تعالت أصوات العميان الجدد متسائلة: من أنت؟

كيف استطعت تشغيل المذياع؟ لا بد أنّك الوحيد الذي يحتفظ ببصره.

رد عليهم الصّوت: أنا من المحظوظين الذين لم ينعموا بنعمة البصر قط، بل ممن حباهم الله بنعمة البصيرة. أنا من ضحاياكم.

صرخ كثير: ضحايانا!!!

نعم أنا من جماعة العميان المبصرة. أنا من فريق الإنقاذ الذي تشكَّل من كل الذين ولدوا عمياناً. الذين استمتعوا بجمال الكون عبر أربع حواس نسيتمونها وتجاهلتم أهميتها منذ فجر التاريخ.

ضحك كثير من رد أحدهم: كيف سيقود العميان عمياناً إلى أرض النّور؟

قال الصوت: لا لن نعود بكم إلى لعنة البصر، بل إلى نعمة البصيرة. ماذا يهمّكم من أرض تحفل بنور لا ترونه؟ وماذا ستفعلون بنور شمس لا يرتد إليه البصر؟ ألا ترون أنّ البصر كان نقمة عليكم. ألم تكبتوا الحواس كلّها لتستعبدها حاسة واحدة كما استعبدتم اللون الأسود وكرهتموه. طمستم أصحاب القلوب النقية، لأنّ علبة أجسادهم لم تكن مغلفة ببشرة ناعمة. لقد أسرفتم في الاعتماد على البصر فجرَّكم إلى عمق عالم ماديّ حتى انجرفتم إلى سحيق السّحيق. كل اختياراتكم اعتمدت على الشّكل واللّون، حبّكم وكراهيتكم يعلوان ويهبطان طبقاً لحدّة نظركم. آفاقكم مدّ بصركم مع أنّ آفاق البصيرة حدودها أبعد من المجرات.

أتحدّث إليكم نيابة عن كلّ العميان الأصليين، العميان الذين ولدوا كذلك ولم يعرفوا بل لم ولن يفهموا معنى البصر الذي لم يفتقدوه يوماً. جررتمونا إلى عالم المادة، فصرنا نقول مثلكم: أبيض جميل وأسود قبيح مع العلم أننا لا نعرف الفرق. كنّا مضطرين أن نجاريكم فيما لا نعرف فنقول فلانة جميلة وفلان قبيحٌ، ترديداً لخبثكم الذي أدخلتموه كياننا عنوة حتى تتقبلونّا... تباً لكم علمتمونّا الكراهية.

لكنّنا بالمقابل سنعلمكم الحُبّ والسلام، سنمدّ لكم حبال البصيرة والحكمة. سنعلمكم أنْ تعيشوا على هذا الكوكب مستمتعين بجمال القلوب، أن تتحسّسوا المشاعر من قلب إلى قلب، أن تحكموا على بعضكم البعض تبعاً لدرجة نقاء القلب وحرارة المشاعر. سنعلمكم كذلك كيف تستمتعون بجمال الطير من خلال صوته لا من خلال قتله. بعبق الوردة لا بلونها، بحنان المرأة لا بإغراء جسدها... أيها الماديون أهلاً بكم في عالم الرّوحانية، عالم البصيرة.

رد أحدهم: كيف سنسافر إذاً، كيف سنتواصل دون وسائل التكنولوجيا العصريّة؟

زعق آخر: أنت لا تفهم أيها الأعمى قيمة العلم وما قدمه عصر الصناعة للبشريّة؟

رد آخر: لو كنت يوماً بصيراً لما تفوهت بهذا الجنون...

رد صوت أنثويّ من المذياع: أنا إينانا، أخت لكم من عالم العميان، عالم البصيرة. أرحب بكم أيها العميان الجدد على الرّغم من حنقكم على عالم لم تعرفوه بعد. عالم من الصدق والوفاء والعطاء.

سكتت قليلاً كأنّما تسترجع أنفاسها، وقالت: لا ليس عالم العميان مثالياً وما كان خالياً من موبقات البشر، لكنه عامر بفيض أكبر من النّقاء. فأسباب البقاء فيه تتطلّب مزيداً من المحبة والتّسامح، مزيداً من التّعاون بحواس لن يكبتها البصر بعد اليوم. نحن في عالم الظّلام نسْتشفّ نوراً من الحبّ وحرارة من المودة تبعث فينا روح تواصل غير ماديّة. نحن لا نعرف القتل عن بُعد، ولا نعرف التّجسّس والتلصّص، لا نقيِّم البشر تبعاً لأشكالهم ونضارة بشرتهم أو فراهة ما يملكون... بل لا نحبّ بعضنا البعض إلا بقدر الصّفاء والنّقاء اللذين ينبعثان موجات من كيانات أبناء جلدتنا. أيّها العميان الجدد أهلاً بكم في عالمكم الجديد الذي سيجعلكم تحبون كل الألوان وجميع الأشكال من دون استثناء رغبة في البقاء. أهلاً بكم في عالم خالٍ من عنصريّة اللّون والشّكل وتزييف الوجوه بأقنعة الكذب والدجل. أهلاً بكم في كوكب العميان.

* لجّة: ماء كثير تصطخب أمواجُه.

* التكتك:هو مركبة نارية ذات ثلاث عجلات، تستخدم غالبا كويسلة للانتقال بالاجرة.

الكوكبُ المربّعُ

عندما كان كوكب الأرض مربّعاً، سكنه أناس بأوجه مثلثة. كانوا بعين واحدة وأنف صغير وفم واسع. كانوا يسكنون سطحاً واحداً من أسطح الكوكب الستة ولا يدرون شيئاً عن سكان الأسطح الباقية. سطح حافل بالغابات الغنية، تفيض منه الأنهار من ناحية الشرق وتصب عند حدود الخط الغربي. حيث كان البحر هوّة كبيرة مسطحة لا يستطيعون النّزول إليها. فهو يأخذ مساحة المسطحات الأربعة حول مسطحهم، تكتنفه الظلمة معظم الوقت، لا يبين منه إلا طرف بسيط ساعة شروق الشمس وساعة غروبها. أما المسطح الموازي في الأسفل أو الأعلى حسب التسمية فكان مجهولاً جهلاً تاماً.

وذات مرّة حدثت ثورة كبيرة في مملكة الشّعب المثلث وانتصر المستبد على الرعاع فأمر جيشه أن يرمي بهم إلى حافة العالم في المحيط الأسود الداكن، لتأخذهم شياطين الماء إلى أعماق العالم السفلي. سيق الذين خسروا الثّورة إلى جبل عال عند حافّة بحر العدم وأُلقي بهم جميعاً. أُقيم احتفال عامر بعد ذلك سمّي باحتفال «التّخلص» من الأشرار. وقد انتهز الملك تلك الفرصة ورمى كل السجناء ومن ينافسه على الحكم في معية من رمى. وأصبح ذلك التاريخ مناسبة سنوية يحتفى بها وذلك باختيار مجموعة مختارة «سيئة» تُقَدَم قربان شكر لإله البحر.

لم يكن للبحر جاذبية كبيرة كالتي نعرفها اليوم فلم يغرقوا بل انزلقت أجسامهم على سطح الماء أياماً حتى وصلت الطّرف الآخر، حيث استقرّوا على النّاحية الموازية عند أشجار عالية كثيفة. ظنّوا أنهم عادوا من حيث أتوا. وجدوا أنفسهم محاطين ببشر لهم أوجه مستطيلة بعيون صغيرة وأنوف مفطحة وأفواه مربعة.

سيق القادمون إلى ساحة واسعة محاطين بجند أكثر تجهيزاً مما سبق وحين أفاقوا وجدوا أنفسهم مكبلين بقيود لم يروها من ذي قبل. أخذتهم الرهبة من الحضارة المتقدّمة التي شاهدوها

والتي لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً، بل لم يكونوا عارفين أين هم بالضبط. مرت الأيام حتى توصل الفريقان إلى لغة مكنتهم من التفاهم وبدء الحوار.

كان الرّجل المثلث وسيماً جداً، فيما كانت نساؤه غاية في البشاعة. وذلك على عكس الرّجل المستطيل القبيح وزوجته المغرية. مما شدّ كلا الجنسين الجميلين إلى بعضهما البعض مع حقد الطرفين القبيحين.

مرت السّنوات والشّعب ذو الوجه المثلث يعمل أجيراً لدى الشّعب ذو الوجه المستطيل. إلى أن بدأت اللّغة تمكّن الشّعبين من التّواصل بشكل شبه عادي، مما شدّ الرجل المثلث لعشق المرأة المستطيلة والعكس صحيح. تمت بعض الزيجات السرية تحدياً لقانون منع الاختلاط بين الأشكال إلى أن حدثت أولى الولادات الصادمة... للطفل وجه مستدير وعينان واسعتان جميلتان مع أنف جذاب بفتحتين رقيقتين.

بدأ النّقاش الدّيني حول هذه الظّاهرة التي تلتها ولادات أخرى تؤكد أن مزيج الشعبين هو نوع ثالث لا يمت لهذا الكوكب بصلة. اعتبر البعض أن ذلك هبة إلهية أوجدت نتاجاً أجمل وأنقى فيما اعتبر البعض الآخر وهو الأكثرية بأن هذه هي اللعنة التي توحي بانقراض الأشكال الهندسية من الكوكب المربع، ولذلك يستحقون القتل. كان صاحب نظرية القتل الرجل المستطيل والمرأة المثلثة كونهما الأكثر ضرراً خوفاً على عنوستهما. انتصر الفريق المسالم حين أفتى كاهن المعبد الكبير بأن الشكل الدائري هو الشكل الأكمل وبأن هذا اللقاء بين الشعبين ما كان صدفة بل هو من صنع الآلهة.

كانت البداية صعبة جداً لتقبل المخلوق الدّائري الذي أثبت أنه جدير بالاهتمام. لكن المشكلات تفاقمت مع ازدياد أعداد الزيجات بين المستطيل والمستطيل وتراجع الزيجات المعهودة بين الطرفين إلى مستوى خطير يهدد بإبادة الجنسين، المثلث والمستطيل. لذلك اجتمع عقلاء الفريقين وقرروا التخلص من النتاج المختلط وقتل كل من تسوّل له نفسه بالزواج من الفريق الآخر وذلك حفاظاً على حقيقة وجودهم.

لكنّ كبير المهجَّنين المستديري الوجه طلب منهم أن ينفوهم رجالاً ونساءً إلى أطراف المسطح السفلي وتركهم لمصيرهم. وذلك اتقاءً لمجزرة كبيرة يموت فيها آلاف من الشعب المستدير. عارض الفكرة المتضررون فيما أخذت الشفقة قلوب أقاربهم وتمنوا على الملك الرحمة والشفقة. قبل الملك ذاك الاقتراح لأنه لا يريد أن يكرهه أقارب القتلى ويقوموا بأعمال انتقامية ضده لأنه قتل لحمهم ودمهم رغم اختلافهم.

سكن الشعب المستدير مكانا عاليا مقحطا في أقاصي المسطح عند أطراف الخط الفاصل عن هوة بحر العدم من الناحية الأخرى الصحراوية. بعد فترة من الزمن أحس الشعب المستدير بأنهم سيموتون جوعاً وعليهم أن يفعلوا شيئاً.

تفتق ذهن أحدهم عن إمكانية حفر زاوية التقاء البحر مع اليابسة حتى يدخل ماء البحر إلى صحرائهم فيغذيها بالماء حتى وإن كان الماء مالحاً. اعترض البعض على أن مياه البحر سامة، فهم لا يدرون ما بها. لكن صاحب الرأي الآخر قال بما أن الأنهار تصب فيه فلا بد أن يكون صالحاً. انتصر الرأي الأخير وبدؤوا العمل بجد ونشاط عند سفح الجبل. وبعد فترة طويلة من الحفر حصل انهيار في الزاوية الفاصلة فتدفّق البحر بغزارة. هرب الحفارون إلى أعلى الجبل بينما يتدفق البحر بسرعة.

تدفّق البحر بسرعة أكبر وأكبر فتحطّم الحاجز بين البحر واليابسة وبدأت الأعاصير تلف الكوكب بسرعة لأيام وأيام حتى استدارت بالكوكب كله فامتزجت الأرض باليابسه وماء البحر مع ماء الأنهر ومات معظم من كان على المسطحات من شعب مثلث أو مربع فيما نجا معظم الشعب المستدير الوجه. وما زالت الأعاصير تلف الكوكب حتى استقرّت بعدما سقطت كلّ الحواجز وأصبح الكوكب مستديراً تيمناً بأصحاب الوجوه المستديرة كما قال الناجون.

ولكن من بقي من الشّعب الجديد لم يرد أن ينسى أصوله فقرّر أن يفعل شيئاً ما لتمجيد أجداده تمجيداً أزلياً. لم يستطع أحد ما إيجاد طريقة تمجيد لفترة طويلة حتى تفتق ذهن حكيم منهم على أن تكون أشكال أجداده هي أسس عِلم لا يُنتسى، فكان علم المثلثات والمربعات هو فرض على كل ذي علم ومعرفة.

وبعد حين تقرر ألاّ ينسى أصحاب العلم فضل الرواد الأوائل في تدوير كوكب الأرض فأضافوا علم المستديرات وسمّوه علم الدّوائر.

غيـبوبة

كنت أهرول خلفها على وقع خطاها، أشتم عبق أُنثاها متماوجاً مع أثير الفضاء على وقع خطاها. لمنحنياتها بهجة أنثى وسحر جمال ينساب فوق أديم الأرض، فيغرقه عبق مسك نثرته ظبية تهامس الوجود بغنج ودلال.

ركضتُ خلفها ...خلف نشوة أسعى إليها في المنام، لأنني أعجز عن أن أفكر بها في يقظتي. فلليقظة قانون لا أقدر أن أجاريه، ولا يمارينى* فيما تذهب إليه نزواتي. قانون يقظتي يحكمه الفقر والألم، الجوع والتشرد... فمثلي يخاف أن يفكر في البذخ والمرح والتّخمة على فراش وثير مع الجنس الآخر.

هكذا ربّتني العشوائيات وأمّي المقهورة. قال لي أترابي من أنت حتى تفكر فيك أنثى؟ أي عين ستسر برؤية عشوائي؟ عد إلى رشدك. أرقني حرف العين في العين التي تنظر إليَّ باحتقار، في العشوائيات التي تصفني بمخلوق أدنى، في العمر الذي اضطر استثماره كما يريد المستثمر لا كما أريد أنا على الرّغم من ادعائي بأنّني أنا صاحب رأس المال. نظرات عيون الأثرياء ترمقني باحتقار ونظرات الرعاع تحسدني على رغيف رماه في حرجي موسر يطلب الصّدقة كممحاة يزيل بها هفوات كتبها على صفحة عمره. كم خفت على صفحته من التّمزق من كثرة ما محا من سواد خطه بإصرار الخطيئة.

لكن هرمونات الشباب لم تكترث بكل محبط فثارت غرائزي كما يجدر بالحلم أن يكون لشاب، فسعيت خلفها. لكنها كانت تتسامى حولي من دون أن تقتحم عيناها خصوصيتي، ولم تحاول البحث في كينونة دونيتي كي تعلق حبل دينونتي.* بل لم تنفث عبق الأنثى الذي تخيلته ولم تستغل سحر جمالها لفتنتي مع أن تضاريسها فتنتني ففجَّرت براكيني، لأنني تعلمت بأنّ الأنثى إن هي إلا

قطعة من إغراء. حاولت استمالتها لكنّها لم تكترث لنظراتي وما تكنه رغباتي، لكنها همست لي «انصهر معي في حلم أزلي».

قلت: وما هو الحلم الأزلي؟

قالت: كن معي حلماً يشتاقه البشر، حلماً يسافر بين قلب ووجدان، ليطهر خطايا الهائمين على سطح البسيطة. هيّا بنا إلى العالم الأسمى.

قلت ببرود وبهتان: وما هو العالم الأسمى؟ ألست أنت العالم الأسمى؟

ابتسمت بسمة حزينة وقالت: العالم الأسمى عالم الآلهة، أما أنا فكيان مثلك وُضع في قالب مختلف. قد تكون أنت في هذا الجسد لو أعيد توزيع الأرواح. أكنت سترضى أن يفترسك حيوان مثلك الآن؟ العالم الأسمى عالم طاهر، أما عالمك فعالم مشبع بالحيوانيّة. ألا تريد أن تتخلى عن حيوانيتك؟

قلت: وماذا بعد ذلك؟

قالت: كن حلماً يزرع الأمل، كن بسمة لا تندثر، رافقني بين حلم عجوز ودعابة طفل، بين إشراقة أمل تصنعها في خيال أو لقمة من خيال تشبع جائعاً... كن حلمي فأكون حلمك.

صدمتني الإهانة كما صدمتني الحقيقة، وحملتني أرض الأحلام أن أتخذها وطناً.

نظرت إلى جسمي وواقعي فبكيت من دون أفهم. بكيت لغبائي وقلة حيلتي فبرد بركاني وسقطت أركاني. لكنّني شعرت بأنّ لي كياناً، فهناك من يدعوني إلى عالم أسمى .لكن هل سأختفي ككيان؟ تنفست هواءً غير هواء اليقظة، شدّتني مشاعر ذلك الكائن بحقيقة لم أعهدها من قبل. أخذتني الدّهشة حين مسني وجودها بنشوة غريبة، نشوة أسمى مما كنت أسعى إليه في قذارة تفكيري، حيث إنّ الحياة في يقظتي ما علّمتني إلا نشوة جنسيّة رتيبة.

أردت أن أحتضنها، أضمّها كشوق الصّحراء للمطر كي أروي كياني المتيبس المشاعر. سعيت إليها، راوغتني. صرخت من البعيد «خذيني إلى عالمك» ركضت إليها متيّماً، فأسرعت كالرّيم متمايلة القد مشتاقة النّظرة لتخلط أمور الإثارة بنقاء وجودها... هكذا فهمت... وأنا لا أفهم كثيراً.

تلاشت رويداً رويداً، بينما تستقلّ غيمة مهفهفة بندى الفجر. رأيتها من البعيد كسراب مستلقية على وسادة حاكتها ابنة الشمس يوم تكاسلت أمّها في فصل الشتاء عن أن تدثرها، فأصيبت

بزكام الشّروق فنثرت نداها على بساط الأرض.

أغمضت عينيّ محتضناً بقايا طيف حورية كان يداعبني منذ لحظات. وبقيت في نوم اختياري أبحث عن حلم ذاب فيه كياني غير آبه بالعودة إلى حيث يكافئني النور بخلق رفيق صامت يرصد تحرّكاتي ويكتبها على أرصفة الشّوارع غير آبهٍ بخصوصيتي. قرّرت أن أعود إلى حلمي، أن أهاجر إلى عالم يَعُده كثير من البشر كوابيس شيطان. قرّرت أن أكون حلماً.

قال مَنْ حولي إنني ذهبت في غيبوبة، وبأنّني راحل إن لم أستفق قريباً. لكنّهم لا يفهمون أنّ غيبوبتي غيبوبة اختياريّة، بل هي درب حياة وهدف.

مَنْ قال إنّ الأحلام تنتهي ساعة اليقظة؟

مَنْ قال إنّ الأحلام ما هي إلا وهم؟

لا، لم أستجب للنّداء ولم أعد راغباً في رؤية الأشياء. لم أعد أهتمّ بصوت البشر ولم يوقظني الدّواء حتى بدأ كلّي يضمر وأنا مصرّ على العودة إلى حلم لا أريده أن يتحقق. أريد أن أحيا مع حوريتي في حلمي، أريد أن أتجسَّد لها روحاً تهرب من فناء إلى عالم أسمى من ماديّة الأشياء. لا بل أريد أن أكون حلماً يسعد البشر، حلماً ينتظره الهاربون من قسوة الأيام وجحود البشر. أريد أن أزيّن منامات العاشقين بحكايات الحواري، وأُسكّن روع الهاربين من جور القدر. ما أجمل أن أكون حلماً فوق حجر يستلقي عليه فقراء البشر.

مرّ وقت عصيب في سكون اللّحظة، عند فراغات القدر باحثاً عن بُعد آخر يأخذني من باب مغمور إلى حلم تلاشى غصباً عني. سأجد باب العودة وأقفز منه إلى بعد هيولي يشكلني حلماً أزليّاً.

وفي لحظة شاردة بدأت تترامى إلى مسمعي نقرات رتيبة لعكاز خشبيّ، شحذت حواسي متوتّراً، ورعاً ممن استباح حدود سباتي. رأيته ببصيرتي. شبح عجوز خمَّنته جاء من بابل عبر بقايا تدمر. كانت لحيته أنيقة مضفَّرة، بدت لي مستطيلة كثة وفي يده عكاز صولجان من خشب اللزاب القديم. أمعن في وجهي النّظر دون أن ينبس ببنت شفة. أمسك بيدي وشدّني مقتلعاً كياني من جسدي وكأنّه يقطف زهرة بريّة لم تفارق أرضها قط. قفز بي إلى دمعة كنت قد نزفتها في سكوني. بِركة الفراق اتسعت، كبرت أصبحت بحراً. أخذ ورقة من دفتر ذكرياتي وصنع منها مركباً. ركبت معه خانعاً لسطوته. بدأ يجذف بحر فراقي براية أحلامي حتى غفا مستلقياً على فراغ وجوده. تركته وعدت إلى غيبوتي أبحث عن بوابة الحلم القديم، لأبحث عنها تلك التي توسدت سحابة مسافرة.

«لا تيأس من التوحّد مع حلمك، فالإصرار يجسد أزليتك فتكون حلماً جميلاً يحلمه الآخرون».

هكذا تمتم العجوز بين الأزمان كأنما يقرأ خبايا النيات، أزمان خلا فيها جسدي من كياني فلم يعد يعرفه.

توقفت عن عدّ الثّواني، تقلّبت بين قدر وقدر ولا أدري إن كنت حيَّاً أم في نهاية سفر يؤدّي بي إلى حيث قيل بأنه المستقر.

وعلى حين غرّة هزتني دغدغة مشاعر ظننتها عابرة... لفحني همس النّسيم فأشرقت أساريري من عمق خمودي. تكرّر الأمر مرات ومرات بهمس النّسيم وحنين السّكون حتى أثار رغبتي في معرفة الحقيقة. أنصتُّ إلى حواسي متربّصاً إشارةً ترشدني إلى ماهيته فما وجدت علامة بشريّة. لكن عبق الحلم الأزليّ بدأ يطغى، وظلال سحابة أعرفها أخذت تقتحم جوارحي ومشاعري من كل مكان. أخذتني رعشة ذكرتني بظبية شريدة تركتها في حلم ما رغبت في فراقه. ضحكت من كانت في علياء وأسدلت ضفائرها سلم عشق أزليّ من فوق سحابة تحمل غيث أحلامي. بدأت أتلاشى مع كلّ عقدة أتسلّقها، أنساب بين غدائرها مشرقاً حتى تساميت إلى غديرة تعانق جيد سيدة الأحلام فأيقنت أن إصراري دمجني في عالم بنته أحلامي من عجينة الأمل.

« أيّها البشريّ الخارج من وسادة البشر، طوبى لك ولكل المصرِّين على عيش حلمهم أزلاً طويلاً. بل طوبى لمن لا يريد لحلمه أن ينتهي ويصر أن يجعل منه وطناً يزوره النيام ليُشفي شوائب وجودهم. أيّها البشري الهارب من يأس البشر، من أحلامهم البسيطة، لقد عملت بجد ونشاط في أمل من طينة الإيمان المطلق. ألم أقل لك لا تيأس؟» هكذا قال البابلي.

أخذت أرتفع فوق سحابة الأحلام بينما يتحلّل زورقي من حفل تأبين أقامه لفراقي أصحاب الأجساد.

أين أنت أيها المسافر؟ أين أنت أيها البابلي؟ أسمعك ولا أراك، بل مَنْ أنت؟

أجاب الصدى متكسّراً على جدار لحدي «أنا من أحلام تلك الهائمة جئت، عند فيء شجرة أرز تنتظرني مذ كان تموز يعانق عشتار عند ضفاف النّهر المقدس. تنتظرني أن أعود صافياً طاهراً متيّمماً بدموع عاشق ركب بحر دموعه ليتسلّق بركان عشقه. ها قد توضأت بدموع وجودك،

وتيمَّمت بأحلامك كي أعود صافياً إلى باب حلم خرجت منه بتعويذة تميمَتُـها سحابتك. سأعود إليها في عصر النسيان بينما تجول سحابتكم حلماً لا ينتهي.

*مارى الشَّخصُ : الشَّخصَ ناظره وجادله، نازعَه وخالفه.

*الدَّيْنونَة: يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمُ الحِسابِ.

"نجمةُ الحُبّ"

كرسيّ من القشّ تتراقص بين فجواته أسراب من النّمل، وعجوز أغواها السّهر تتّخذ من البسيطة مقعداً. تخفي بين تجاعيد وجهها حكايا جمال زاحمته زوابع الأيّام حتى اتّخذته موطناً لأخاديدها. مدّت يدها إلى السّماء كما كلّ ليلة لتقطف ما نضج من ثمار النّجوم من دون عناء أو ضجر. أخذت ترصفها بأناقة في وعاء فخاريّ يحفظ عبق ورطوبة جمعها حتى لا تضطّر إلى نقعها عندما يحين موعد استعمالها في شأن لم تبح به أبداً. وما إن لاحت تباشير أمنيتها حتى خجل البدر فتوارى واسْتتر. غطّت الوعاء بسرعة ورشاقة من دون النّظر إلى جَنيها، وأسرعت إلى داخل بيتها العتيق الذي يحوي من ركام العمر ما يكفي لمزاحمة أقدم الآثار، في تلك البقعة الخرِبة لا ينازع تاريخها إلَّا جسد متهاوٍ أخذه سبات عميق بالكاد يسمح له بالتنفس، ليبقيه في عداد الأحياء، فانزوى تحت دثار الحياة حياءً وخجلاً. رمقته بنظرة تستشفّ ما بقي من رمق لتقارنه بدقيق حسابها حتى اطمأنّ قلبها، فقالت له مدركة بأنّ قلبه سيسمع: عليَّ أنْ أعدّ محصول النّجوم التي في حوزتي يا عزيزي، أظنّها شارفت على اكتمال نصابها. أرجوك أن تتمسّك بالحياة قليلاً ريثما تجود السّماء بمزيد من قطوفها. وما إنْ أنهت عدَّها حتى صدمتها حقيقة لم تتوقعها، فصرخت من كيان راقصته الفرحة: يا إلهي العدد كامل والجعبة مملوءة بما يكفي. قالتها وهي تذرف الدّمع فوق قطوفها، نثرت عليها قبلات من ثغر متجعد كأنّه فوهة قربة قديمة، يطلّ من وجهها كبئر كالحة الظّلمة في منحدر وجهٍ ترهّل حتى قارب الاندثار. فاشتعلت نار حبّ قديم، من جمار قلب لم تخبُ يوماً ولا سعارها انحسر. حرّكت المزيج ساعات طويلة بغصن رمانة حامضة المذاق، ليشتدّ المزيج. ذابت النّجوم وأضحى الشّراب لألأة سماء وبسمة قمر.

أخذت رشفةً فسُرَّ قلبها للمذاق، قَطَّرت بين شفاه الرّاكد على فراش الوداع نصيبه فتنهد من سبات. تداولت معه الارتشاف والسُقيا، فسرى بينهما الشراب كترياق غريب أثار زوبعة في كيان كل منهما فأفقدهما رشدهما. أخذا ينحسران في خضم ألم ينازع خلايا جسديهما وبخار السنوات

الخوالي يتجمّع في فضاء الغرفة، حتى أضحى كسديم ينذر بما لم يكن في الحسبان. تبعثرت المشاعر من وهلة المشهد، وصمتت الشفاه عن البوح تحت وطأة قلبين يضخان سحراً غريباً زلزل وجودهما خوفاً ورعباً، فارتمى كلّ منهما في كيان الآخر ملاذاً. تفاعل مزيج الحبيب مع الحبيبة، فتوهّج الكيان الجديد مترقياً إلى علياء فتولّدت نار زرقاء أذابتهما في بقعة مقدسة ضاءت بنور كيان واحد يبرق بلون سحر غريب.

تجمّهر من رأى النّور ليستكشف ما جرى حتى ضجّ المكان بأهل الفضول الذين شدهم النقيضان، سحابة في علياء تظلّل نوراً لم يعهده قلب بشر من قبل. وما إن أكتمل نصاب لا يعرفه إلا علّام الغيوب. هطلت الأمطار بهاء غزيراً غسل أدران الحاضرين بحبّ أزلي فيما تتجلّى بقعة النّور إلى علياء متخذة لها مكاناً بين النجوم سماها حكيم «نجمة الحُب».

أسرار المخداتِ

‘‘البرتو من إيطاليا حضر اجتماعاً لمافيا بيع السلاح في بيروت في يوم 25/11/ 2012 وكان نزيلاً في فندق فينيسا حتى 29/11/2012».

«دايفيد سميث من مدينة هيوستن، تكساس عنوانه كذا... متخصص في تصفية كل من يجد بديلاً للطاقة ويتلّقى مبالغ خيالية من شركات البترول ودول النفط وهذه أرقام حساباته السرية... ».

«هُو وانغ من مدينة شنغهاي قتل والديه بالسم بتاريخ 4/2/1998 ليرث ثروة ضخمة أسس بها شركة عملاقة في »هونغ كونغ».

«اضطر أحمد مهيوب أن يستدين مبلغ 5000 ريال كي يرسلها لوالده كفدية عن حمار جارهم الذي قتله والده دفاعاً عن شرف أتانه بتاريخ .1978 /5/1»

كُتبت هذه التغريدات ومئات غيرها على صفحة مغمورة في حساب على الفايس بوك من دون أن يكترث لها أحد، إلى أن صادفت حرم وزير الخارجية الأمريكية السابق التغريده التالية: وزير الخارجية السابق ج.ن قد تزوج سراً من ماريا ماكفيلد سنة 1997، وأنجب منها ولدين وهي تسكن الآن في فيلا نائية في مدينة أتلانتا في العنوان التالي....

اضطربت زوجة الوزير غيرة واتّقدت حقداً وكرهاً، لما قد يكون مجيباً لشكوكها. توجهت إلى العنوان المذكور فوجدت عشيقة زوجها بصحبة ولديها، كما جاء في الخبر. جن جنون المرأة فأخبرت الصّحافة وأرباب الدولة فضجّت وسائل الإعلام بالخبر وحقّقت في باقي التغريدات فتبيّن بأنّها كلّها صحيحة. حاولوا العثور على صاحب تغريدات «أسرار المخدات» الخطير دون جدوى فكلّ التّغريدات صادرة من مقاهي إنترنت عامة. شاعت الأخبار حول العالم وأصيب كبار القوم وصغارهم بصدمات متتالية. تحرّكت المخابرات ومراكز التّحقيقات حول العالم بحثاً عن «أسرار

المخدات» من دون جدوى. لكنّ الخيوط بدأت تتجمّع فيما التّغريدات لم تهدأ، فالفضائح حوت صفقات الأسلحة والمخدرات، الرّشاوي والخيانات، كما سرقة ألواح الشوكولا، والتبوّل في أكواب الشّراب قبل تقديمها للزّبائن في مقاهٍ راقية حول العالم.

أخيراً دخلت قوّة من رجال التّحري مخزناً مهجوراً في مدينة نيويورك، حيث كان المكان يعجّ بالمخدّات المستخدمة سابقاً. لم يكن هنالك أحد سوى الرسالة التالية على الطاولة:

لا يهم من أنا، أذكر أم أنثى؟ ولا يهم من أين أتيت؟ لكنّ المهم أنّ هذه المخدّات هي مصدر الحقيقة. بدأت الحكاية عندما كنت نائماً على سرير والديَّ في غيابهما فسمعت صوتاً يكلّمني من داخل المخدّة. خفت من أن تكون المخدّة مسكونة بروح ما أو أن يكون قد مسّني من السّحر جنوناً. لكنّ الصّوت قال لي: أنا المخدّة أبوح لك بأسراري. أنت الوحيد القادر على سماعي.

قلت للصّوت: وهل أنا مجنون لأصدّق بأنّ المخدّة تتكلّم؟

قالت: أنا المخدّة الأمّ وقد وهبتك القدرة على سماعي.

ضحكت كثيراً وقلت: أين هو الأبّ إذاً؟ لا يوجد شيء كهذا.

قالت: بل يوجد فإنّني وريثة مجد أولى المخدّات وقد ورثني أبوك عن جدّه بل أجداده.

أخذت نفساً عميقاً لأستوعب، لأنّ والدي طالما أخبرني بأن هذه المخدّة إرث عائلي والنّوم عليها يريح الأعصاب .لكنّني لم أعترف لها وقلت: كيف أصدّقك.

قالت: اختبرني إذاً.

قلت: بماذا؟

قالت: كل من يلقي رأسه على مخدّة ينزُّ أسراره فيترك نسخة فيها. تماماً كما يفعل ال USBعندما تدخله الكومبيوتر. لدي أسرار والديك وغيرهم.

قلت: لا أصدق أنّ المخدّة تتكلّم... هذا هو الجنون بعينه.

قالت: ها أنت تكلّمني، من هذه اللحظة أصبح لديك القدرة على سماع كلّ المخدات ساعة تلقى رأسك عليها. ما عليك إلا أن تقول لأيّة مخدة: باسم المخدّة الأمّ حدّثيني أيّتها المخدّة عن أخبار من وضع رأسه عليك.

قلت: إذاً أخبريني؟ أتظنين أنّك تعرفين والديَّ أكثر مني.

قالت: أنت لا تعرف والديك البتة. تتّخذهما مثلك الأعلى لأنّك لا تعرف الحقيقة، أليس كذلك؟

قلت: طبعاً فكل ما يقومان به من أجلي، ها قد أنهيت الثّانوية العامة وأنا في طريقي إلى الجامعة.

قالت المخدّة: كم أنت بريء يا هذا، والدتك صاحبت أربعة رجال منذ أن تزوجت والدك. يأتون إلى هذه الغرفة ويمارسون معها علاقات غير شرعيّة عندما يدَّعي والدك بأنه ذاهب في رحلة عمل بينما يذهب لإتمام صفقات الاتّجار بالممنوعات من مخدّرات وأسلحة إلى تهريب النّساء المختطفات. أتدري بأنّ له في كلّ مدينة عشيقة؟

صرخت بها: أنت كاذبة، بل لست حقيقة. إنّ هذه الأخبار ما هي إلا كوابيس.

قالت: ألا تذكر عدد الرّجال الذين يزورون أمّك في غياب أبيك وفي كلّ مرة تعطيك مالاً لتذهب إلى السيّنما. أتذكر لويس، صديق أمّك المفضل وهو صاحب والدك كذلك، ألم يكن يزوركم في غيابه فقط؟!!

صمتت قليلاً وقالت: لا تحزن فوالدك كان عشيق زوجته كذلك.

قلت غاضباً: تباً لك لا أريد الحقيقة، سأمزقك.

قالت: توقّف عن جنونك واذهب الآن إلى فندق هولياداي-إن المجاور حيث ستجد والدك مع عشيقته جينيفر الشقراء وسيقدّم لها ساعة رولكس مقلّدة على أساس أنها أصلية.

لا أدري كيف صدَّقتها وتوجهت إلى الفندق وانتظرت حتى رأيت والدي مع غادة جميلة بيدها ساعة رولكس. اقتربت بهدوء وسلّمت على والدي وقلت للسّيدة: لا بدّ أنّك الآنسة جينيفر.

قالت: نعم كيف عرفت؟

قلت: لا يهم، مبارك عليك ساعة الرّولكس المزيفة.

نظَرت إلى والدي وقالت: أتكذب عليّ، هل هو من باعك الرولكس المزيفة؟ هل هذا ثمن حبّنا أم ثمن صفقة المخدّرات التي خاطرت بها من أجلك. لطمته على وجهه ورحلت.

طردني والدي من حياته ومنزله على الفور، كما حرمني من كلّ شيء. قال عدّ إلى المنزل وخذ أغراضك الشخصيّة ولا تعد أبداً. غادرت المنزل، لكنني لم آخذ شيئاً من المنزل إلا المخدّة الأمّ وجارتها اللتين أخبرتاني كثيراً مما أجهل.

سجن والدي عدّة مرات بتهمة تهريب الأسلحة والمخدّرات، ووالدتي كانت من راقصات العري في لاس فيغاس. وحيث إنّ والدي عقيم ووالدتي قد استأصلت رحمها قبل الزّواج للحفاظ على رشاقتها فقد تبنّياني كطفلٍ لقيط من ملجأ لكنيسة منسيّة.

أردت التّأكّد من الحاسة الجديدة فنزلت في خان صغير في ضواحي مدينتنا الصّغيرة، وتكلّمت مع المخدّة، فأخبرتني كثيراً عن المحافظ وأصحاب النّفوذ، فعلمت من هم اللصوص وتجّار الممنوعات وأسماء غواني المدينة من الرجال والنساء. ما هزّني يومها أنّ أجرة الغانيّة في الليلة الواحدة تساوي ما كنت أحصل عليه من عمل صيف كامل قبل الضرائب. سرقت المخدة حين خرجت. أعدت الكرة في فنادق أعلى مستوى لأستمع إلى أسرار المشاهير والأثرياء. هدّدت بعدها بعض أصحاب الفضائح فحصلت على مال كثير، حتى جمعت ثروة اشتريت بها هذه المخدات من فنادق الخمسة نجوم والخانات الصغيرة التي يرتادها رجال العصابات. سمعت آلاف الحكايات التي تثبت أنّ العالم مبنيّ على الكذب والخداع. سافرت بعد ذلك إلى أوروبا وآسيا والشّرق الأوسط كما أمريكا الجنوبيّة وكنت أرشو الخدم ليسرقوا لي المخدات. بل كنت أشتري المخدات الجديدة وأستبدلها بالقديم. الغريب أنّ العالم كلّه مبني على الكذب والخداع وكأنّ وباء الرذيلة قد عمّ سطح الكوكب.

لن تجدوني أبداً فالمخدّات أخبرتني عنكم جميعاً وسأشغلكم جميعاً بفضائحكم قبل أن تلتقطوا أنفاسكم. تركت لكم هذه المخدّات لتشهد بالحقيقة التّافهة إن عرفتم كيف تسمعون لها. أما مخدّات البيت الأبيض وفنادق الأمم المتحدّة ومشايخ الخليج والماسونيين فهي في حوزتي. أشعر بأنّني أحكم العالم، حيث يمكنني إشعال الحروب وسرقة خزائن البنوك كما فعلت أكثر من مرة وحصلت على ما يدينكم جميعاً.

أخرجوا من هنا وإياكم أن تبيعوا مخدّاتكم كي لا تبوح بأسراركم.

عقد إيجار

كان يتململ في سريره غير عابئ في أيّ حقبة من زمن هذا اليوم هو. أزعجته عوائق لم يدرِ ما هي، لكنّه استمرّ في محاولة التّمطي ليحضّر نفسه ليوم طويل من العمل. لم تُسفِر محاولاته عن راحة ما، فقرر النّهوض... لكنه فشل. لم تكن صدمة تُذكَر لرجل فتي تعشق جوارحه دفء الفراش مقاومة رغبة انبعاث نشاط بكسل أصيل. طال به المقام طول زمن لم يكن له في خلده تقديرٌ. قرّر أن يفتح عينيه، عندما تحسّست عيناه روافد نور الشّمس التي اقتحمت صفحة الأرض هذا اليوم دون مقاومة من القمر الذي ولّى هارباً ككل يوم. القمر يدرك حجمه ويحترم الأقوياء، ليس جبناً بل تجنّباً لخسائر قد تفقده احترام النّجوم.

عيناه لم تنبلج انبلاج الفجر، يداه مشدودتان لشيء ما، ورجلاه مقيدتان إلى شيء ثقيل. صرخ أماه فلم تجب. نادى تالا ... أحمد، من دون أن يرتدّ صدى الصّوت إلى مسمعه.

ما هذا، ماذا حصل؟

أصوات خارج كينونته تمشي على استحياء إلى حيّز وجوده. "أيها الطّبيب ما هو الحلّ؟ عشرة أيام وهو في غيبوبة، لم ينطق، لم يحرّك ساكناً".

ردّ عليهم بصوت جهوريّ لم يسمعه إلا هو: ماذا؟ عشرة أيام في غيبوبة. أنا هنا، أنا من يكلمكم وأنتم لا تجيبون. صمت برهة وعاد صارخاً مستنجداً: أنا أتكلّم أنا هنا صامد، لن أموت، لن أرحل. هنالك خطأ ما أرجوكم أن تتداركوه.

الطبيب: هذه الغيبوبة قد تطول ومؤشرات الحياة كلّها في هبوط. أنتم تعلمون أنّه بعد حادث الانفجار الذي تعرَّض له أصيب بكسور بالغة وقروح غائرة في أنحاء جسده. أنتم محظوظون أن تكونوا هنا لتودّعوه قبل الرّحيل.

بكاء، دموع ونحيب أشبه بالرّثاء استعداداً للفراق. أتراه من ذاك الذي سيودّعه تساءل الشّاب. بل كيف سيودّعونني وأنا حيّ أسمع وأعي ما تقولون. لا، لا أريد الرحيل حياً. نداءاته لم تجد نفعاً ولم يتطاير الدّخان الأبيض من يافوخ أحد مبشّراً إيّاه بالعودة إلى الحياة. لم يتشبّث به أحد ويصرخ ‘‘إنه حيّ، إنّه حيّ’’.

هل فقد أهلي ثقتهم بي، هل سيتركونني أرحل كجيفة ينتظرون التّخلّص منها بناءً على رأي طبيب لا يدرك خبايا القدر؟

هالة غريبة تقترب، تتجلّى عن شكل غريب تعرفه أعماقه، ينتظره أبناء البشر ليركبوا قطار الرّحيل. شكل غريب تجلّى إلى جانبه جالساً على وسادة من فراغ وقال بصوت تسمعه خلاياه صافياً نقياً: لديك 48 ساعة كي ترحل. الحجز نهائي. بعد أن أذهب ستستعيد وعيك كي تتواصل مع أهلك وتنهي ما بقي من أمور عالقة. لكن لا يمكنك البوح بما أخبرتك، لسانك سيصمت إن حاولت وستعود إلى عالم الغيبوبة.

- لكنني لا أريد الرحيل، أنا لم أمت، ساعتي لم تحن بعد. يقولون إنّه انفجار قصم عمري قبل بلوغ خطّ النّهاية.

_ نعم هو انفجار أودى بحياتك.

= لا، الانفجار أعطبني وأنت تريدينني أن أموت. لقد عرفتك، أنت قابض الأرواح.

_ نعم أنا قابض الأرواح وسأعود بعد 48 ساعة.

= كيف يمكنك تحديد ساعة الفراق، كيف ستنزع روحي من جسدي وأنا على يقين بأنّ موعدي لم يحن بعد.

_ اسمع يا هذا، أنا لا أحدّد شيئاً، إن هي إلا وظيفتي وأنا أتبع الأوامر بدقة منذ أن دبت الحياة على هذا الكوكب.

= وهل من بنود عملك أن تقبض أرواح الذين يستهدفهم الإرهاب بدلاً من القبض على الإرهابيين.

- أيها الرّجل عندما تولد تُحدَّد مدة استخدامك لجسد وهب لاستضافتك. للجسد عمر افتراضي ينتهي عمرك بانتهاء صلاحيته. ما أنت إلا ضيف في جسد فتيّ قد هلك.

= ها قد قلتها، الجسد كان فتياً، والعقل متوهجاً وقد جاء من أعطب الجسد فلماذا أدفع الثمن؟ أنا مستعد للسّكن في هذا الجسد المتهاوي رغم تعرضه للتّخريب. فلم يكن تهالكه لسوء استخدام منّي أو تبذير.

_ عليك أن تفهم بأنه لا يمكنك استخدام أكثر من جسد واحد. وجسدك قد نفق.

= إنها ليست مشكلتي، ليست غلطتي، عليك إيجاد سكن آخر، مضيف جديد.

_ لا يمكنك ذلك فكل الأجساد شاغرة.

= يمكنني الانزواء في رحم ما وأخرج من جديد لأكمل بقية عمري. نعم يمكنكم حسم فترة سكني الحالية من العقد الجديد.

_ لا بد أنك تهذي، إنهّا ليست تجارة أرضية، إنه قانون السّماء الذي لا تفهمه.

= لكل قانون شواذ مضرة.

_ ويحك، قانون السّماء لا فجوات فيه.

= لم أقصد ذلك، بل لا بد أن يكون هناك وضع ما لمن تقصف أعمارهم غصباً. عندما تأخذون أرواح المصابين كأنكم تقدمون هدية للمجرم فيعمل على المزيد من حصد أرواح البشر. ألم تفكّر بأنّك إن لم تأخذ أرواح المصابين ستُفقد القتلة سلاح الدّمار والابتزاز.

_ عدالة السماء أدرى بما هو خير.

=أرجوك ساعدني، جدْ لي سكناً آخر، جسداً خاوياً لروح نجسة لا تريدون لها البقاء. لا بد أن هناك ساكناً مزعجاً تريدون التّخلص منه. مسيئو الأدب في هذا العالم كثر أيها المحترم. أخرجوا أحد الأرواح الشّريرة وأسكنوني جسدها الخاوي.

_ ما أنا بصاحب القرار، سأرفع مسألتك إلى صاحب الأمر الذي يدري ما يدور بيننا من نقاش. سأعود إليك بالخبر اليقين.

= إياك أن تأتي فجأة لتقبضني، فلدي كثير من الأمل والأحلام وحبّ المعرفة والعطاء. كم أتشوّق للغوص في هذه الأحلام وتحقيقها... هل تعي ما أقول؟

_ أعي ما تقول لكنّني لا أفهم، فمهمتي منوطة بجمع الأرواح من الأجساد النّافقة. جسدك سينفق بعد 47 ساعة ونصف الساعة. لا يمكنني ترك الأرواح هائمة بلا جسد فالأخطار منها وعليها جسيمة. هل تفهم؟

= لا أريد أن أفهم، أريد مضيفاً جديداً في أي مكان.

مرّت برهة خارج حسبان الزمن، والشّاب لا يتقبّل فكرة الموت قبل وقته لأن أحداً ما عبث بجسده. إنه لم يفعل ما يغضب الله ولم يسئ لبشر. الأفكار والهواجس تعبثان به فقد تخرج بدرجة متفوقة في علوم العصر الحديث، وهناك فتاة جميلة بانتظاره... ثروة العائلة كبيرة وأحلامه أكبر... كيف سيموت الوريث قبل المورِّث؟ سؤال أرقه كثيراً.

"إنّه شيء غير مقبول، سأحارب حتى آخر نبضة من هذا الجسد المتهالك. ربما يمكنني إقناع هذا الجسد بالاستمرارية، سأعده بأنّني سأرعاه وأهتمّ به... سأسهر عليه وأمتعه قدر ما يحتمل".

أخذ نفساً وهمياً عميقاً مع آلة التّنفس الصّناعيّ وقال لذاته: كيف السّبيل، كيف السّبيل؟

عاد الجسد النورانيّ، أسكت الأصوات، وأطفأ نور الوجود فارتعش الشّاب المحتضر الذي حاول الاعتراض. لكن كلّ شيء تجمّد قبل أن يتفوه بكلمة.

بدأ يسمع هرجاً ومرجاً تنضح منها جلبة غير مألوفة. أصوات تشبه الزّغاريد بل كأنّها تهاليل حدث كبير سبق له وسمع له مثيلاً. لغة غريبة لكنّه يفهمها، تعابير تبعث على القلق أكثر من الرّاحة. أراد أن يتحسّس وجوده ليعلم إنْ كان في جسد على الأرض أم مقبوض عليه في سماء بعيدة. خاف وارتعد عندما لم يستطع تحسّس جسد كان يأمل استئجاره. تكاثر الضّجيج بين حفيف أشجار ترامت إلى مسمعه مع نباح كلب فتيقن أنّه على كوكب الأرض.

صوت قادم من بعيد: استروا هذا الجسد الذي أرداه أعداء المعبد من القبيلة المجاورة.

رد عليه شاب آخر: أرادوا تدنيس معبدنا في يوم الحفل العظيم فاعتدوا على أهل هذا المعبد في عيد الآلهة.

صوت أجشّ قادم يدبّ على الأرض والفضاء دبّاً: يريدكم الكاهن الأعظم أن تلفّوا هذا الجسد بهذا الوشاح المقدّس وتضعوه على مذبح الآلهة.

بشّت روح الشّاب، حيث أدرك أنّه على كوكب الأرض في معبد ما مع أن كلّ شيء أسود قاتم ولا يقدر أن يلامس جسده. ربما لم يبدأ تفعيل عقد الإيجار بعد، ولربما كان هذا الجسد كسيحاً. سكت قليلاً ثم أردف، لا يهم ما هي صحة الجسد، المهم أنّني تمكّنت من إيجاد جسد يؤويني كي أحقّق أحلامي. جسد لرجل من الكهنة أمر جلل، ياه سأصبح كاهناً، بل لا بد أن أكون في جسد كاهن مهما كانت ديانته فكل الدّيانات السّماوية أُنزلت من السّماء نفسها. أخيراً حظيت بفرصة التّواصل الرّوحانيّ وأنعم بما ينعم به رجال الدّين من مميزات. سأنعم بالدنيا والآخرة كما ينعم رجال الدين في مدينتي. ياه، أترى ما هي مرتبة صاحب هذا الجسد في المعبد؟

بدأ السّكون يخيّم على قاعة المعبد، فيما الشّمّاسون يرومونه بالبخور حتى وصل الكاهن الأكبر الذي بدأ يتمتم بمفردات غريبة قبل أن يقول: إنّها ليلة مقدّسة نقدِّم فيها القرابين بعد رقصة الفناء التي تقدّمها راقصتنا العذراء عارية قربان جمال لآلهتنا. ستقدّم رقصة الشّكر والعطاء حتى تتوحّد مع السّماء من أجلنا جميعاً فيتنزل الغيث وتحمل البهائم وتكثر الخيرات.

صاح الجميع: ولكن يا سيدنا كيف سترقص القتيلة؟

لم يكترث الكاهن بل أعطى إشارة بدء المراسم فضربت الدّفوف وطاف الشّماسون بالبخور وصرخ الكاهن صرخة مدوية فيما يضرب بيده على الجسد قائلاً: هيا قومي أيتها الرّاقصة السّمراء وقدّمي رقصة العطاء. تحرّك الجسد، ارتعد الكاهن وقال: يا لمعجزة السّماء.

ذهل الجميع فيما الكاهن يقول: لا بدّ أن تحيا لتخبرنا السّماء بأنّها عنا راضية وإلا فإن وحوش أواسط إفريقيا ستنهش أجساد هذه القبيلة. ثم رفع الغطاء على الجسد وضرب يده على الجبين وقال: أيّتها الرّاقصة العذراء المقدّسة قومي وقدّمي للآلهة والكهنة رقصة العطاء قبل أن تفتح أبواب الابتهال لجميع أفراد القبائل حتى الذين حاولوا قتلك.

بهت الرجل الذي أصبح أنثى، بل راقصة في معبد وليس كاهناً. أراد أن يتحسّس جسده ليعرف تكوينه الجديد بجغرافيته المختلفة، لكن عيون الكهنة التي تخترق كل جزء من جسد لم يسبره هو بعد أقنعته بأنه استأجر جسد امرأة مثيرة مميزة.

أراد أن يصرخ بالوسيط الذي استأجر له جسدا لا يمت بصلة إلى رجولته، لكن صخب الحياة بعث في الجسد نشاطاً فهب المستأجر الجديد مذهولاً واقفاً بجسد أنثويّ يتفجّر بروحانيّة المعبد متوجاً بثديين نافرين متدليين من جسد يسكن إلى أرداف مثيرة. ألوان زاهية وموسيقى صاخبة

ترافق أغاني المناسبة... وبدأ الرقص الذي صنعته إيقاعات الطّبول والدّفوف، فيما أجساد كهنة القبيلة المزدانة بألوان الرّيبة تهزج بتراتيل لم يُفقه منها شيء.

وبعد برهة صاح راهب عجوز آمراً الجميع بالسّكوت فيما يتوجّه ناحية الكاهن الأكبر وقال:

متى سنذبح الرّاقصة قرباناً لرقصة العطاء. لا بدّ أن يحصل هذا قبل أن يتوسط القمر قبة السّماء.

ذُهل ‘‘الراقصة’’ وودَّ أن يصرخ بهم ‘‘لا تقتلوني أنا المستأجر الجديد’’ لكن كبير الكهنة أثلج صدره حين قال: نحن نقدِّم الأحياء قرابين. أما العائدون من الموت فهو هدية السماء ولن نذبحها.

رد الكاهن العجوز: إذاً فعلينا أن نتبارك بها كما جاء في كتابنا المقدّس.

الكاهن الأكبر: لا بدّ من ذلك أليست هي عطية السّماء لكلّ الكهنة.

ردّ الكاهن العجوز: فلتكن أنت من يتبارك بها هذه الليلة.

هلَّل الجميع فيما يسقط جسد الراقصة على الأرض وهو يصرخ: ألغوا عقد الإيجار. دعوني أمُتْ قبل أن أصبح ‘‘المومس المقدسة’’.

أُحفورة

هناكَ في أعماقيٍ وجدتُ أُحفورةً .

عليها طلاسمُ وخطوط غير منظورةٍ

بها ظلالُ خطوطٍ مبهمةٍ

وحكايةٌ مبتورةٌ

فيها عمقُ الأزلِ

وقلب حياته مغمورة.

بات الشّك يؤرّقّني بعدما عرفت أنّ الأحافير يقاس عمرها بالقرون وأنا إنسان عاديّ عمري بالكاد يربو على النّصف قرن. أخذت أرقُبها، أنظر إليها تارة بشوق المستكشف وطوراً بعين الشّك. هل وضعها مخلوق قديم في قلبي لسبب أجهله أم جرفتها الأشعة الكونيّة من مجرّة بعيدة فيأتي صاحبها ليستردها بعد قتلي، أم ماذا؟

أأرميها أم أبقيها؟

جلست أنقبها بعين فاحصة. لأجد إن كان لي بها صلة أم لا، كل يوم أحسّ بأنّني أقرب إليها من يوم مضى. بدأت أشعر بأنّ في الأحفورة شيئاً ما يشدّني وبقوة، يخبرني كلّ يوم بأنّني أنا من صنع تلك الأحفورة، لم أدرِ كيف، لم أُصدق. بدأت ملامح جديدة تظهر والعلامات تتّضح وكأنّ الطلّاسم تفكّ بعضها بعضاً. هنالك بدأ يظهر في التّاريخ الطّويل وجهان أنا و.....أنا.

أنا الآخر ليس أنا بالضّبط، شيء قريب منّي، جزء مني عنده وأجزاء منه لدي. كلانا لا يقترب إلا بانصهار الآخر به وعنده. يا إلهي نحن اثنان لكن لا وجود تاماً لأحدنا إلا بوجود الآخر. الآن فقط أدرك بأنّ ذاتي لم تكن ذاتي، كانت مجرّدة من تمامها. أي منّا لا يساوي شيئاً في عالم البقاء ... ومعاً نحن درّة خالدة. لكن من أنا الثّاني؟

وعبر الأيام عبر العذاب والشّوق للمعرفة عبر بوابة البكاء في ليالٍ طويلة عبر الشّوق لمعرفة الذّات وجدت تاريخ الأحفورة، وجدت أنّها تحمل ختم حياتي، إنّها هناك مذ عالم الذّر. هناك حيث أوجدنا الخالق قبل بدء العوالم، هناك أوجد لكل صنوه. هناك تمازجت الأرواح، اختلطت، قاست وعانت عبر ملايين السنين من الاندماج حتى التصق كلّ بصنوه. كلّ روح كانت بحاجة إلى مكمل لها، لم يكن في تلك البلايين من الأرواح إلا زوج واحد لكل واحد. بعدها ترتبط الأزواج في عالم نقي تبني شوقاً وحناناً وعاطفة قبل أن تنصهر كياناً واحداً.

وفجأة ...

تسمّر كل شيء، وفرِّقت الأزواج إلى أجل معلوم. وأُرسل كل فرد للأرض وحيداً إلى الامتحان الصعب. امتحان تبعثّر الأزواج في عالم متلاطم ولن يعود أي منهما قبل الالتحام الأزليّ. التحام تتحد به الأزواج في ضمَّة أزلية عبر ترهات البشر، ضمةٌ لا دنس بها ولا أحقاد.

في أُحفورتي وجدت حبيبتي ...ضممتها إلى روحي كي نعود أدراجنا.

محاق قديم

وجهه غريب الملامح يخفي بين تجاعيد بشرته أسراراً طالما أرقني بالإشارة عنها صديقي سمير. لفت نظري لون بشرته السّمراء المشرئبة بحمرة لوّحتها شمس ساعات العصر، التي تحمل أخبار المهاجرين عبر مكوك الوجود الذي يحمل أسرار الزّمن قبل احتلال الظّلام كوكب الأرض ومصادرة تاريخ ذلك اليوم مُودِعاً إياه خزانة النسيان.

أمّا عيناه اللتان تحتميان بشحمة تتدلَّى من جفنيه العلويين، تبعثان على تساؤلات تخترق مداركك، تستولي على مشاعرك لتسبر ما تحتها من أسرار. حدة نظراته المنبعثة من خلف هذا الحجاب تجبرك على التّنازل عنها بل نسيانها. لكن موجة الألوان التي تبثها وجنتاه تبردها فتحتا أنفه المتواضع، لتحملك على طبق من ألوان قوس قزح إلى كرسي الاعتراف.

ها قد وصلت أخيراً... لقد انتظرتك منذ أن أخبرني عنك سمير. صمت برهة ثم تابع: علمت أنّك تبحث عن سبيل.

تملّكتني الدّهشة التي طغت على الخوف. فسمير لا يعرف الرجل بل يعرف عنه. ذاك الرجل الذي لم يوجه كلامه إلى سمير بل إليّ. ترى كيف عرف سمير؟

لم يمهلني كثيراً لطرح سؤالي قبل أن يتابع: أخبرتني الشّمس حكايا سمير، أما أنت فلست من الأهمية بمكان.

ذهلت لمقولته فأنا خريج أشهر الجامعات عوضاً عن أن سمير يعمل سائقاً في شركتي.

مرة أخرى فاجأني العجوز قائلاً: أنت تفهم الوجود كباقي البشر من ناحية ماديّة صرفة، من مشاعر تسمونها الحواس الخمس. لكنّكم تجاهلتم حاسة التجلّي التي تربطكم بالنّور الأسمى. أنتم لا تقتنعون بأنّ حقيقة الأمر خالية من المادة. عليك أن تعلم أنّ الوجود المادي ما هو إلا خادم للهيولى

التي تسبح في الكون المترامي، لتتشكّل بهاءً ونوراً متواضعاً يدور في فلك النور الأسمى، نور الحق.

ماذا؟ لم أفهم.

طبعاً لم تفهم، لكنك ستفهم لو كانت في حبة قلبك بقايا حياة لم تقضِ عليها عفونة المادة ودناستها.

صمت قليلاً بينما عيناه تتخلّلني، شعرت بها تخترق خزائن وجودي رويداً رويداً، توقّف الزّمن وكأنّما العجوز قد ألجمه عن متابعة العدّ حتى ينتهي من مسحه تاريخ وجودي. رفع رأسه قليلاً وقال: هناك أمل... يمكنك الفوز إذا أنقذت روحك وغسلتها ببقايا قمر قديم. لا ليس أي قمر قديم، بل محاق سقط لتوه في لب زهرة ليلة القدر.

صدمني رأيه الأوّل بتفاهة وجودي كما صدمني علاجه الصّادم. أنا أعرف بأنّني ماديّ، أضع ثمناً لكلّ شيء كما أنّني لم أعترف يوماً بالخسارة الماديّة طالما يمكنني تعويضها بغيرها. حتى وفاة زوجتي وابني لم يهزّا وجداني طويلاً إذ أدركت أنّ الزّواج مرة أخرى يعوّض خسارة ما فات. البعض يعتقد أنّني شرير، لكن منهم من يدرك ما أعني، لأنّ الحياة يجب أنْ تستمرّ واستمراريتها متعلّقة بالقدرة على تخطّى المشاعر التي تضعف البشر وتذلّهم. لا، أنا لست منهم أولئك الضّعفاء. وقف الشيّخ الذي يقرأ أفكاري: نعم أنت منهم ماديّ صرف تنتمي فقط لهذا الجسد البشريّ، أما نورك الروحاني الذي ولد معك فما زال يبهت ويبهت حتى أنه لا يضيء درب نملة تائهة في الظّلام... لماذا جئت؟

نظر إلى سمير قائلاً بوجه متجهّم: هذه المادة التّافهة لا تناسبك يا سمير. لا أدري كيف قرأتك عبر غروب الشّمس نوراً ساطعاً واستلهمت منك بأنّ في هذا الكيان الحجريّ روحاً خفيّة... لكنّها عديمة النّور. روح بلا نور ستموت وتندحر إلى زوايا الألم التي تذرف وجودها عند أركان الحقيقة هرباً من جور أصحابها وقطعهم صلة الرّحم الأزلي.

كان سمير هادئاً بوجهه السّمح عندما قال: رأيت في أعماقه إنساناً يريد أن يتحرّر فغرّدت عند الغروب تغريدة استغاثة علّنا نستطيع نساعده على فكّ قيوده.

لن يفكّ قيوده إلّا هو... لن ينجيه إلّا محاق قديم سقط في زهرة ليلة القدر يوم تزهر، ينقعه في ماء مطر زلال تساقط في أرض طاهرة ثم يغتسل به عارياً من بشريته.

ياه... وهل يسقط القمر القديم؟ هل يسقط كلّ شهر أم كلّ عام أم ماذا؟ وكيف لي بليلة القدر حتى أسعى إلى زهرتها. بل كيف أتعرّى من بشريتي؟ كيف أفكّ قيودي. مهلاً، مهلاً أي قيود هذه وأنا حرّ. بل أنا سيّد من سادتهم. لماذا أنا هنا؟

سكنت قليلا، أجهشت بالبكاء كأنّما شيء في أعماقي يصرخ بي مستنجداً: دعني من سجنك، دعني من أغلال أموالك، من فداحة لذّتك الماديّة التي ترمي بقاياها على فوهة بركاني فتسدّ مسعاي كي أتفجّر نوراً ساطعاً في سماء الحقيقة.

قلت: كيف وهل هناك أقمار تتساقط؟ انظري يا أعماقي إلى القمر واحد لا يتغيَّر عبر الزّمن. سطحه واحد، شكله واحد، وما تغير نوره إلا نتيجة حتمية لفيزيائية الكون.

ضحك العجوز من جهلي قائلاً: إنّه العالم الماديّ الذي تركضون حوله، تدرسون الظّاهر وأسبابه ولا تذهبون إلى اللّب، إلى الجوهر. يا بني ما تراه من القمر هو الوهم بحد ذاته. وهمٌ مصطنع لحماية الحقيقة من الأرذال الذين يبيعون ويشترون الوجود بأوزان وإحداثيات.

القمر يا هذا ما هو إلا رحم تحتضن كلّ شهر بويضة جديدة تزهر وتكبر حتى تبلغ رشدها بعد أربعة عشر يوماً من أيام الأرض، لكنّها في حساب البعد الآخر زمن لا تدرك مداه بصيرة البشر. وبعد بلوغ تلك الزّهرة أشدّها تطلق نفحة حقيقة تبعث في أرواح العارفين نبضاً يساعدهم على استمرارية العيش في أجساد بالية خلال فترة حضانتهم. تتحلّل بعدها وتنكمش يوماً بعد يوم حتى تصبح محاقاً يابساً يسقط في زهرة ما في مكان ما. ولكن أقدسها ذاك الذي يسقط في كيان زهرة ليلة القدر. زهرة بيضاء تتفجر نوراً من لب وضاء لمدة يوم واحد مرة كل عام. ولا بد للمحاق أن يسقط في لبها ذاك اليوم حتى يتسنى لطالبي الغفران عن قتلهم نقاء أرواحهم أن يغسلوا ذنوبهم بمائها ويعودوا إلى ديارهم بنور لم يعهدوه من قبل.

وَعَدت ذاتي بأن أكرِّس حياتي لأجد زهرة ليلة القدر وأنتظر سقوط محاق قديم في رحابها.

خرجت من هناك وحيداً بعدما رأيت سميراً يتحلل من جسده البشري رويداً رويداً حتى تخلله النور واندمج به متلاشياً إلى حيث لا أعلم، بينما يسير العجوز بعيداً إلى الأفق ليعانق شمس الغروب حافظاً أخبار ذاك اليوم من داء النسيان الذي يؤرقها.

تأميم الأجساد

نظراً لتفاقم المشكلات الاجتماعيّة، وإساءة استخدام الأجساد جنسياً واجتماعياً، بل وتردي أوضاع العلاقات الزوجيّة وغيرها من علاقات الجنسين بعضهم ببعض، فقد صدر القرار الأخير بتأميم الأجساد لمصلحة الوطن والمواطن، بما يضمن للجميع التساوي في فرص التّعارف واستكشاف الجنس الآخر بصورة أوسع وأشمل. كذلك من أجل المصلحة العامة التي ستوفر الطمأنينة وراحة البال لأفراد المجتمع عوضاً عن أنها ستوفر اختلاف السّلع للمواطن. فليس من العدل أن يستمتع فرد ما بجسد مفعم بالحب والإثارة لسنوات، بينما مواطن آخر من الجنس والعمر والوطن نفسه يفرض عليه إقامة علاقة مع جسد كريه بارد بسبب غلطة اتخذّها يوم قرر أو قررت الزّواج. وقال القرار بإلغاء المؤسسة الزوجيّة كما هو متعارف عليه من أجل مجتمع متكافئ عادل، وذلك بمشاركة ما يمكننا مشاركته من أجل الإحساس بوطنية وإنسانية صادقتين.

كما تابع القرار بأنّ الأجساد هي أملاك عامة تسكنها أرواحنا لتخدم البشريّة من أجل التوّصل إلى حياة أزليّة تكتنف الكون بأرواح نورانيّة بعيداً عن أجساد بائدة مضطرين أن نحلّ عليها ضيوفاً رغماً عنا.

لكنَّ المناوئين لهذا القرار من بقية من يدافعون عن المؤسسة الزوجيّة متسلّحون بفلسفة الحلال والحرام، قالوا إنّ هذا القرار سيحطم ما يسمّى بالعائلة وبقدسية الرباط الزوجي. كما أنّ الأطفال الذين سيولدون نتيجة هذه العلاقة لن يعرفوا آباءهم، وسيكونون أبناء زنا. وقالوا إنّ مثل هذا القرار إنّما هو جريمة منظّمة للقضاء على ميزة البشر في علاقتهم الزوجية والأسرية والرباط الأزلي لأسر عريقة ستصبح في خبر كان. وقال المتشدّدون من المتدينين بأنّ هذا هو الكفر بعينه وبأنّهم لن يمارسوا أية علاقة جنسية إلا تحت عقد رباني أزليّ تربطه الشّرائع. ولأوّل مرة يتّحد فيها علماء الأديان جميعاً تحت راية واحدة لإنقاذ المؤسسة الزوجيّة المتعارف عليها منذ آلاف السنين.

لكنّ أصحاب القرار قالوا إنّهم لم يتّخذوا هذا القرار جزافاً إلا بعد الاطلاع على مسيرة الكواكب الأقدم في مجرة درب التّبانة. واستشهدوا بكوكب فيغا وكوكب الزّهرة اللذين تحوّلا إلى كواكب نورانيّة منذ أمد طويل، وبذلك توصّلوا إلى الأبديّة كما إلى عدم الاعتماد على المواد العضويّة من أجل البقاء.

وتساءل أبناء الكوكب عن مصير العلاقات الموجودة، وكيفية العيش مع شريك من دون إقامة علاقة جنسيّة في وقت ما. وكان جواب جماعة الحكماء في المؤسّسة الحاكمة بأنّه سيتم تركيب أجهزة تشبه أحزمة العفة على الرجال والنساء سواء. ويمكن خلعها الكترونياً فقط من خلال رقم سري يحصل عليه صاحب العلاقة في نادي الجنس مرة واحدة في الأسبوع وفقاً لموعد مسبق مع شريك أو شريكة تحدده وزارة النّكاح. وقال إنّ هذه العلاقات الجنسية ستتناقص تدريجياً مع زوال الرغبات الجسدية. وقد بيّن القرار بأنّه لا يمكن إقامة علاقة جنسية مع الشريك نفسه قبل مرور خمسة أعوام.

وجدير بالإشارة أن معظم الشباب قد دعموا هذا القرار بمظاهرات ضدّ المؤسسات الزوجيّة والأعراف الاجتماعيّة والدينيّة التي تحدّ من حركتهم وكرههم للمسؤولية الأسريّة التي تربطهم بأطفال لا يريدونهم.

ننتظر مزيداً من ردود الفعل، ونتمنى أن يكون هذا القرار الصّائب سبباً في رفاهية الجنس البشري المنقرض وتحويله يوماً ما إلى مخلوق أسمى لا يضيع وقته في التفكير بما يجعله حيوانياً.

في خبر عاجل تم تكذيب هذا الخبر من وزارة «النّكاح» وحتى إشعار آخر. وقد علّق أحد المناهضين لهذا القرار بأنّهم تراجعوا عنهم ليعودوا بعد شراء ذمم المعارضين لهذه المسألة الحضاريّة كما حصل منذ سنوات طويلة عند إباحة الزواج المثليّ الذي حرمته جميع الأديان فيما مضى.

حصالة ذكرياتي

في لحظة حنين من شوق دفين تَجَمَّع الدّمع على حوافّ بحيرة أجفاني، ليذكّرني بأنّني ما زلت أحمل مشاعر إنسانيّة. أمسكت أطراف الشّاطئ بزمام كبريائي معتقلاً إياه خوفاً من تفجّر فيضان مشاعري وانسكابها في صميم كياني.

أردت خليلاً، بل دليلاً إلى أعماق ذاتي يواسيني في لحظة ضعفي.

ما من مجيب أجاب صلواتي، ولا اقتحم عليَّ خلواتي، حتى أخذني الشّعور بالإحباط لوقت غير قصير حتى تذكرت ملاذي الأخير، حصالة ذكرياتي. تلك التي أخفيت فيها مشاعري وأسراري في ازدحام أوقاتي. هناك ثروة جمعتها كي أنفقها يوم تخبو المشاعر وتتجهم عليَّ الأيام من وجه مرآتي .كم من مشاعر أخفيتها، عن عشقي وكرهي وسر فتاتي. هناك أخفيت شيطاني الذي يعرف غمزاتي ولمزاتي.

هناك تسكن غادة تعرف لوعتي وآهاتي. وصديق ما زال متخفياً يعرف أسرار السَّحَر وخبايا ليل ليس له قمر.

سرت في خبايا كياني مع وحدتي تقودني سليقتي الى حصالة ذكرياتي.

وجدتها تنتظرني بشوق غربتي، ضممتها بلهفتي إلى صميم وجودي. تسارعت أشواقي لفكّ طلاسم قِفلها والغوص في كنوز سحرها علّني أستمتع بها قبل مغادرتي هذا الكوكب. فأنا قلق من أن أغادر قبل حلّ الألغاز. ألغاز شغلتني، أرّقتني بتفاهتها حيناً وخطورتها أحياناً.

فدائماً ما أتساءل إن كان سيُسمح لي بحمل حصالة ذكرياتي في رحيلي الأخير، هل سأدفع غرامة على الوزن الزائد لما ادّخرته في حصالة قديمة من تافه ومثير.

ألغاز قد تبدو تافهة لغيري، لكنها طالما أرقتني. أخاف أن يمضي عمري قبل أن يرتاح طفل في أعماقي. طفلي فضولي يريد أن يعرف لماذا عليه أن ينام بلا ظله؟ لماذا لم يعش جدي لأتعرف عليه وأشد لحيته؟ بل من سرق قطعة الحلوى من درجي ذاك النهار؟ وما زال سري الأليم عن سارق وطني السليب. سلبه بمياهه وجباله وهوائه و... شعبه. لا، لا سري الكبير عن أولئك العبيد الذين يتغنون بحرية أسيادهم فيما هم يقبعون في أقبية ذلهم.

كم أحاول أن أتذكر ملامح تلك التي كتبت في سجل شبابي خطايا عِشقها.

ياه، كم أجَّلت كلمات شكري لذاك الذي علمني بأن الحرية هي مصير وليست خياراً.

لست أدري لماذا أنا قلق، خائف على صندوق استثماري هذا الذي أعددته كي أواجه به النسيان في وقت ينعدم فيه الخلان فأرنو إليه في عالم ضيق هجره خليل تنكر وحبيب توارى. ها أنا أسرع وأسرع إلى ذلك الصندوق كي أضع أقنعة بلا ملامح على وجوه تائهة تبحث عن عنوان في ذاكرتي... تعافرني أسماء العظماء وأولياء وشهداء حفظتهم عن أبي وجدي مع أسماء الباعة والبقالين وأصحاب والدي المتواضعين. وما زلت معجباً بصديق والدي بائع المزَهَر)ماء الزهر(أكثر من كل الزّعماء الذين عرفتهم ففيه ريح طيبة تطغى على بقايا خيانة وحقد سريرة تتساقط من وجوه منسية لأولئك الذين يضمونك إليهم بشوق الكراهية، يطعنونك بقلوب باردة ويفخرون بحقدهم معتزين بخيانتهم وقباحتهم.

نعم، سأفرز ذكرياتي وأضع الأحداث فوق تواريخها الصحيحة خلف ألقاب رافَقَتَهم.

لست أدري من يوزع تلك الألقاب؟ من يسرق الألباب... بل لماذا أشك في مصداقية التاريخ الذي يشعرني بغشاوة تائهة بين ظلال الوهم وأنوار الحقيقة. أفتش عن قشة في حمل بعير تائه في صحراء ذكرياتي علّها توقعني في وادي الحقيقة.

لا يهم من أنا وكيف؟ فقد بدا بريق حصالتي يغريني كي أشفي غليل وجداني. صرخت فرحاً مرة أخرى وكأني وجدتها ثانية. ضممتها... قبلتها بكياني هززتها هذه المرة كي أشنف آذاني برنَّات ذكرياتي.

يا إلهي إنها خفيفة، خفيفة جداً، نبض قلبي بسرعة كأرنب تطارده الذئاب بعد فراره من الثعابين. لكنني سأفتحها أفرغها، هي حصيلة وجودي هي ثروة عمري. سأبحث عن كل شاردة وواردة في صندوقي، من أول صرخة صرختها متحدياً تحية البشر الصادمة إلى يوم أصبحت أرى

فيه تجاعيد القمر. أخذتها برفق ضممتها بحنان أوقاتي ضغطت على زنادها فلم تفتح. حاولت مرة بعد مرة فأبت الاستجابة. لم أحفل كثيراً لعنادها فأنا شديد المراس لا أترك حقي أبداً خاصة عندما يتعلَّق الأمر بوجودي.

هززتها... دفعتها كما حاولت كسرها فوق بساطي

صليتُ ... دعوتُ

واستعنتُ بشتائمَ من عدةِ لغاتٍ

رفستُهاَ ... طرقتُها

فتصدعتْ تحتَ ضرباتيِ

مزَّقتُهاَ .. قطعتُها

وجدتُها خاويةً ضاويةً

ماتتْ فيهاَ أوقاتيِ

تلاشتْ ذكرياتِي

فشعرتُ باضمحلالِ وجودي عندما شدني سائق إلى داخل كُوَّته التي كتب على بابها ‘‘الدخول بلا جسد وأمتعة’’

أدركت أنَّ مهمتي انتهت، حينما ‘‘قُيدت روحي’’ إلى يد السائق الذي همس قائلاً: صودرت حصالة ذكرياتك لانعدام صلاحيتها.

زقزقةٌ

كبني البشر الذين أنتمي إليهم حباً وغصباً، أَنسدِل عند المساء تحت لحافي ليرتاح جسدي بعد يوم طويل من عناء العمل، ودوخة التفكير والحركة بين هنا وهناك. وكأنّني أُريد أن أدفن مشكلاتي كلّها تحت هذا المسكين الذي لا أذكر أشتريته أم هو من موروثات العائلة الكريمة؟ بل قد أصبح فراشي لحداً أضع فيه أسقامَ النهار وآلام المساء. كما أدفن الأساطير التي أجنيها من هنا وهناك، بل من هذا وذاك تحت وسادة خاوية. لكنّني أعود في بعض الأحيان وفي جعبتي شيء من السّعادةِ فأنثر أفراحي في فضاء غرفتي فيغتسل هذا الفراش وذاك اللحاف من أعباء أيام النكد.

غرفتي رحبة، وبها شباكٌ كبيرٌ يطل على حديقة صغيرة تتوسطها شجرة تظلل غرفتي. يحلو لي أن أستلقي تحت ذاك الشباك كي تلامسني أنامل الشمس عبر ثغرات بين أغصانها. تناجيني صياحات الديكة عند الفجر فأسمع وأتثاقل. أشد النعاس إلى عيني لأنام أكثر قبل أن يغادرني كما يظن. ولئِن فكر أحد أعضائي بالحركة رميته بأسهم الكسل معاوداً شد لحافي لأحفظ ما فيه من حرارة تقيني برداً لا يوجد إلا في مخيلتي.

وذات يوم تناهت إلى مسامعي زقزقة لطيفة تناسيتها بلا تردد فليس لمثلي أن تسلبه هذه الأنغام لذّة النوم. أُحاول إمداد الفجر أطولَ مدّة ممكنة، لكن النّغم يزداد حلاوة لتستمرّ المشكلة وتزداد تعقيداً. لكنّني أبقى صامداً شديد العناد. وبعد عدة محاولات يائسة من ذلك الموسيقار الموهوب القادم من الفضاء الخارجي لجذب انتباهي حصل ما لم يكن في الحسبان. وامصيبتاه... يا ويلتاه بدأ ينقر على الزجاج، ويزقزق أنغاماً جميلةً، بل رائعة. أخيراً حاولت النظر من عيون ذابلة والاستماع من آذان تختبئ تحت لحافٍ دافئ خوفاً من أن يندس هواء نقي فيعكر صفو صديقي العَفَن تحت هذا اللحاف، ذاك الذي لم يغادرني منذ ريعان الشباب. وبعد حين من الزمن خلته دهراً تأكدت بأن ذاك المخلوق هو من بني عصفور .

كانت عصفورة صغيرة، بريئة، تمثل الجمال بألوانها البديعة وريشها البراق. نظرت بعيون لامعة تتفقد تقاسيم وجهي .منقارها الرقيق ينبلج عن فتحتين صغيرتين، ربما للتنفس!!! رأتني أبادلها النظر فذهلت وانطلقت إلى الفضاء خائفة وجلة يلفها جناحان لطيفان سريعا الحركة... واختفت.

كانت تعاود الكرَّة يومياً مع فارق بسيط، إذ يتأخر مشروع هروبها كل يوم وكأنها تزداد اطمئناناً. إلى أن وقفت ذات مرّة على غصن تدل رقته على نعومتها. كانت قريبة من شباكي أكثر من ذي قبل. غردت وناجت ثم رفرفت ورقصت ثم حركت ذيلها حتى انفرد... كانت فَرِحة وأدخلت في قلبي السرور. هذه الصغيرة شدتني إلى الحياة، بات حبورها يبعث في أعماقي ما يسمى إنساناً من خلال لغة صامتة مملوءة بالصدق والعفوية.

رنوت لها، أسهبت فيها النّظر. بدأت أصحو باكراً لأجلها تاركاً أثقالي تمرح وحيدة على فراشي... بدأت أكتشف اختراع الهواء الطّلق الذي يحمل روح الطبيعة. فتحت لها نافذتي، وقَفت على زاوية الشباك برهة وجيزة، غردت وطارت. ثم وقفت على الغصن الصغير تنظر إليَّ بحب وحنين. أجل بحب، ليتك معي لتفهم. حبّ خلت بأنّي سأجده عند البشر، ظننتها ملاكاً متخفياً بين ريش وزغب. أخبرتني الكثير، لم أفهم. غابت بعيداً وعادت بحبّة من كرز رمتها في كنفي وطارت إلى غصن قريب ترقب ردّة فعلي عن كثب، لم آكلها لأحتفظ بها كهدية. راقبتني بحذر، طال انتظارها برقت عيناها بدمع لا تفهمه إلا نفس عاشقة. تغيرت نظراتها لشعورها بخيبة الأمل لعدم قبولي الهدية... مزقني الألم، قبلت الهدية والتهمت حبة الكرز. رفت بجناحيها كأنما تحييني وطارت.

وحتى لا أُعطي فكرة عن سوء ضيافتي وضعت لها بعض الماء والحبوب. كبرياؤها منعها في البداية، لكنّها شاركتني بعض الحبوب فيما بعد على الرّغم من أنها لم تتجاوز نافذتي أبداً. لم ألمسها أبداً مع أنّها اقتربت كثيراً. خفت على رقتها، خفت أن تزعجها أناملي بخشونتها على جسدها الرقيق. بل خفت أن أغير تناسق ريشها، أو قل لم أتجرأ العبث بتلك السيمفونية الإلهية. بدأت تأتي كل يوم كما انتظرتها كل يوم. تبادلنا النظرات صفرت لها، بشت بوجهي. بادلتني غناءها بنشازي. تطير بأجنحتها وأطير بحواسي... أحسست أن لي حبيباً لا يخلف وعداً بدأت تبني عشاً على شجرة تقابل شُباكي. كلما حملت قشة نظرت إليَّ علني أفهم. كان عملها بطيئاً خاصة مع اقتراب فصل الشتاء. تحمل مواد البناء، قشة من هنا وعود من هناك. في كل رحلة كانت تقترب أكثر من الشباك تنظر إلي، تغرد وتطير، ولم تدخل قط. مرّت أيّام كافية لإفهام الإنسان الغبي في داخلي بأنها تريد عشاً، سكناً.... قفصاً. ولكن كيف أضعها في قفص وأنتزع حريتها. إنها ترقص وتغني ويمكنها أن تدخل البيت وتفعل ما تشاء. لكنها أصرت على أقوالها وأصريت على جهلي أو تجاهلي. وأخيراً

وتحت ضغوط إصرارها قرّرت أن أشتري لها أحسن قفص في السّوق. لقد أحببتها وأردت لها قفصاً مميزاً لتتباهى به... أجل لأتباهى به أنا .

بدأت أوراق الأشجار تذبل وتصفر نزولاً عند رغبة ضيف الطّبيعة العائد من عين العاصفة الجنرال خريف. إنه قادم ويريد كل شيء حسب المعتاد. بردت الرياح وتراجعت الشمس أمام سطوة الليل. بدأ الليل يكسب المعركة ويتخذ حيزاً أكبر من عمر الزمن بينما يتراجع النهار أمام عدو بارد ونقص في الطاقة ما يجعل إضاءة الأرض لفترة طويلة صعبا جداً... بدأت فترة التّقنين الشتويّ.

أخذت مواعيد العصفورة تفقد دقتها، تأخُر في القدوم وبطء في العمل، صمت قاتل لا يعكّر صمته إلا نظرات تفهمها نفس الحكيم. نظرةً إلى عشها وأُخرى إلي. العش لم يكتمل والقفص لم يأت بعد والبرد القارص على الباب. تريد بيتاً لها، لا تريد الدّخول بلا احترام. قدّمت لي كثيراً، الغناء، الرقص، الطّيران... علّمتني النشاط، حبّ الحياة، أن أنظر إلى غدي بأمل، أن أقدر ما وهبه الله لي... الهواء الطلق رؤية النّدى يتجمّع على أوراق الزّهور تعبق به نسمات الهواء شوقاً. كبرياؤها منعها من الولوج ولو بضع خطوات.

جمعت قواي وأفكاري وعدت بأحسن قفص. وعدت به فرحاً مرحاً.

وإذ أدخل البيت أراها تضع على شُبَّاكي بضع قشّات صغار من عشها الذي لم يكتمل. نظرت بأسى وطارت إلى الفضاء حيث إنّ سرباً من بني جنسها يطيرون جنوباً. أقلعت عالياً بجناحيها والتحقت بسريتهم.

أجل لقد قالت لي بكل صراحة من قال لك إنّني أريد أجمل الأقفاص، من قال لك بأنني أريد أن أسطو على حياتك. فقط أردت أن يكون لي مكان خاص في حياتك وبيتك... أحببتك بكل جوارحي مع كل الفوارق، لا أدري لم وكيف؟

طارت، ولم أقطع الأمل بعودتها... وضعت القفص الجديد على شباكي وتركت الباب مفتوحاً لها، علَّها تعود... لكنّه الخريف والطير مهاجر.

سباقُ الغيومِ

أرقبُ تغيُّر الفصول عاماً بعد عامٍ، حتى مللت ترتيبها السّقيم، لا ليس سقيماً بالمعنى المعروف، بل ضجر يصم آذانَ السّكون. كم هو كئيب ورتيب توالي الفصول على المنوال نفسه عاماً بعد عامٍ. تخبو الإثارة، وتموت اللهفة عند محطّة الانتظار. كلّ الفصول تأتي كموعد القطار في المحطّة نفسها. ما عاد عشاق الفصول يكترثون، فالقادم قادم دون هدايا تُذكر، دون تبرُّج أو زينة. في محطة الفصول لا تصفِّق الأيدي للقادم الجديد، ولا تودِّع المسافرين... ضجرٌ، بَشَمٌ*، سأمٌ.

الكل يعلم أنه في نهاية الصيف تخبو رائحة الزهر، وتلفح الشمس لحاء الأشجار فتصبح جذورها أشد دُكنة، تصاب العيون ببؤس الألوان الشاحبة وتتلاشى بهجة الكسل. الكل يصلي من أجل التغيير، ينتظر فصلاً جديداً، صاغراً خلف سطوة الطبيعة، التي لا تعترف بالديمقراطية. فهي سترسل الخريف دون غيره ليقض مضاجع الصيف وينظف ما خلفه بنو البشر كهناً وإسرافاً غير عابئة برسائل الرحمة التي تتوسل نمطاً جديداً من الفصول. لكن الصيف يقاوم ويقاوم تحت رغبة جماهيره الكسالى خوفاً من تراجع شعبيته كي لا يخسر لقب ملك الفصول. بل هنالك من يطالب بتجاوز الخريف إلى فصل الشتاء أو الربيع ولو مرة واحدة.

شخصياً أريد أن أرى فصل الشتاء متجاوزاً فصل الخريف. أريد الارتواء من مزن السماء، ليس شراباً طهوراً فحسب، بل أريد لبصري أن يلامس الغيوم، أن يرى السماء فأمسك بزمام غيمة قريبة وأقودها كما كنت أقود الحمار في ضيعتي، عندما كنت طفلاً. ليت غيري يفهم لذة سباق الحمير، خطر الوقوع كبير، وسباق الريح شيء مثير، خاصة عندما تتيه في الغابة وتفقد حواسك خرائط البشر حتى تخشى الضياع وأنت تأمله. ودائماً ما تتعاون مع الحمار لترسما طريق عودة يضمن العودة قبل الغروب. ذاك الشعور الغريب الذي ينتابك وأنت تسابق القمر للوصول إلى درب العين قبل ساعة الغروب. اليوم أحلم بالوصول ممتطياً ظهر ديمة كثيفة. ذاك الطفل في داخلي لم

يخسر سباق حميرٍ قط ولن يخسر سباق الغيوم. لذلك أحلم بغيمة شتاء كثيفة داكنة تحمل جسداً اضطررت إلى المكوث فيه. لا أحتاج إلى رِكاب ورسن كي أروض الغيم، ولا أحتاج دليلاً إلى درب التبانة، فكلنا في النهاية سنصعده بطريقة أو بأخرى. لذلك لا بد من وجود برنامج أزلي يدرك معارج السماء.

كيف يدركها ميت ولا يدركها حي؟

أصر في صلاتي ونسكي وابتهالي أن تتجاوز السماء فصل الخريف هذا العام. ففصل الشتاء أنيق يجبر كل الناس على الاحتشام والوقار. أنيق بمعاطفه، بخوَذ الصوف بل بألوانه المبللة برذاذ المطر الصافي متناثراً من مزن تكتنزها السماء. ما أرق الوجود شتاءً عندما يزدان بنفناف ساحر خلَّاب يعيد الصفاء بهجة وسروراً. كم أتصوَّر نفسي ممسكاً بقفة الثلج فوق غيمتي أغترف منها نفنافاً وأنثره على معطف حبيبتي الصوفي. بل كم أحلم بصنع باقات زاهرة بيضاء أزيِّن بها بيوت الفقراء، بعد أن أرشها بماء رجراج يبعث على السرور بينما أعزف مع الريح لحن الهفيف زفزفة* من ناي الرياح السهوج.*

إذا لم يُستَجب دعائي سأعترض على استقبال فصل الخريف، ولن أستقبله في كوخي الصغير. أعلم بأنه قاسٍ بل قد يتسم باللؤم أحياناً، وقد يخلع باب كوخي، لكنني سأقف في وجهه صارخاً "لا أحبك... لا أحبك" نعم لن يكترث وإذا ما فعل سأهدده بأن صديقي فصل الشتاء لن يتركني وحيداً، وقد أصوم احتجاجاً. وإذا ما فشلت سأتوارى في الغابة مع الدببة بياتاً خريفياً.

لا أفهم لماذا يسابق الخريف الشتاء، بل لماذا يخاف الشتاء الخريف؟ لماذا لا يلفحه قبل قدومه بعاصفة ثلجية تؤخره بضعة أشهر؟ ربما لأن فصل الخريف قاسٍ بطبعه يجبر الشتاء على القهقرى، ويجبر البشر على تقبله غصباً وكرهاً. بل قد تكون أوامر الأم الكبيرة طبيعة!

ربما كان فصل الخريف ابن الطبيعة المدلل فتتجاهل بقية الفصول. لربما كان ذلك نوعاً من العنصرية، وإن لم يكن كذلك فكيف لا تغير الترتيب احتراماً لمشاعر الفصول الثلاثة الأخرى. نعم، لو كانت عادلة لغيَّرت ترتيبها حسب اجتهادها ومحبة الناس لها. لكنها متسلطة متجبرة تفرض على الناس استقبال الخريف، بل تجبرهم أحياناً على إقامة حفل استقبال يسكر فيه الناس من نبيذ يسرقونه من جنى الصيف الذي كد جاهداً على إنضاج العنب أصفرَ وأحمرَ وأبيضَ. مسكين فصل الصيف الذي يُسرق جناه ويطرد شر طردة تحت وطأة زوابع الخريف الذي يحطم كل ما بناه الصيف.

ألا تكترث هذه الأم لمشاعر الفصول الباقية؟ ألا يهمها أن تتوِّج فصلاً جميلاً بعد صخب الصيف؟ نعم في رأيي أن يأتي فصل الشتاء الحاني بأمطاره بعد الصيف الماجن، لا أن يأتي الخريف فيقسو ويضرب ويكسر غير آبه بما يحدثه من مآسٍ للبشر والطير والشجر. تلك الطيور الصغيرة المسكينة تترك ممالكها وممتلكاتها بل أعشاشها التي بنتها طيلة الربيع والصيف لترحل متكبدة عناء السفر وارتفاع الأسعار وتقدِّم القرابين بعضاً من فلذات أكبادها للصيادين كي يتركوا لبعضها الآخر ممراً آمناً.

لا أدري ما الحكمة من ذلك ولا أهتم ولكنني أؤمن بالديمقراطية وأصر على إجراء استفتاء شعبي تشرف عليه كل الغيوم والنجوم وأصدقائي المجانين. بل قد أهرب مع فصل الشتاء عندما يأتي وأخرج من بياتي إلى أحضانه متوسلاً أن أرحل معه. سأرتحل على ظهر غيمة شتائية تحفل بجبال الثلج وتلمع بلون الشمس بياضاً إلى حيث يرحل. سأساعده في ري الأرض وملأ خزانات المياه الجوفية... سأفتح حنفيات الماء على من أهملهم البشر في العشوائيات... وسأقدِّم شراب الثلج دافئاً بأكواب المحبة لكل المشردين، كي أقنع ملكة الطبيعة بأن المحبة التي يحملها فصل الشتاء خير من قسوة الخريف.

زَفْزَفَةُ الرِّيحِ : شِدَّةُ هُبوبِها

*السهوج: صوت الريح الشديدة مستمرة الهبوب

سمعت لحناً

كان الزمان رتيباً ...ساكناً كئيباً تغشاه غيمة رمادية يبرق من فجواتها شعاع خافت. لكنّه بالكاد يصل إلى أكوام أرقي فيخفيها أو إلى ظلمة وجودي فينير لها بصيصاً. بل أصابني هذيان عندما أرقني زفير أحزان يتساقط عليَّ من ديمة سمائي لأشْتَمّ مآسي العالم... امتنعت عن الشّهيق خوفاً من الفضيحة مع ذاتي وأمسكت أحشائي لائذاً بالهرب لإنقاذ كبريائي. ركضت في المجهول إلى وجهة مستكينة. لمعت من السماء ضفيرة، كأنها كانت لأميرة عرفتها في حلم... نزوت إلى السماء مستنجداً بالضفيرة فسقطتُ مغشياً عليَّ من فوهة وجودي إلى فضاء درب التبانة في هاوية سحيقة.

أخذتني الأقدار إلى مجرّة أخرى ليس بها أقمار... ارتطمت بكوكب صغير يتلألأ ألحاناً... صغير جداً هذا الكوكب بالكاد يتسع لها، تلك الشابة الساهبة* في البعيد ترسم نجوماً حول كوكبها اليافع. نظرت ملياً في السماء فهزت رأسها كأنما وجدت سراً ثم أخذت حاجبها ووضعته هلالاً سيداً على فضاء لا يعرف الأقمار. هلّلت النجوم لجماله وغنت على لحن لا يمكن إلا أن تعشقه. تماوجت فوق سماء كوكبها لتهمس شيئاً ما. ارتعشت النجوم حول الهلال وهللت قبل أن تقفل مغادرة إلى أوكارها في درب التبانة على عربة الآلهة المهيئة في مرآب القدر.

مع أن الكوكب ما كاد يتّسع لنا سوياً لم تكترث للأمر حتى حينما داست أقدامها العارية على جسدي...لكنها ارتعدت فجأة، أصغت قليلاً، جحظت عيناها وارتفع جفنها المتبقي متسائلة عن شيء ما... لم أفهم.

أصغت بقواها إلى أعماقي وقالت مستغربة بشر بلا لحن!!! أين لحنك؟ هل أضعته أم بعته؟ أنتم البشر تبيعون أي شيء حتى ألحان وجودكم.... لا لن أعطيك لحناً آخر.

أنا: لحني... ما كان لي لحن ولا عشقت النغم... بل لم أطلب منك لحناً.

هي: بل كان لك لحن.

أنا: كيف ... كيف؟

هي: ألم تسقط إليَّ من باب حزين من سقف السّماء البعيدة؟

أنا: أجل.

هي: لا يسقط من هناك إلا من قُطع وتره.

أنا: وتري... يا إلهي أكان لي وتر وانقطع ... من أنت أخبريني؟

هي: أنا حارسة القيثارة أنا سيدة الألحان، أنا من يربط أوتار الكائنات بقيثارة الوجود.

أنا: أية أوتار وأين القيثارة؟

هي: لكل مخلوق وتر يعزف عليه وجوده من سعادة وشجن فيندمج مع سيمفونية الوجود ويشارك في معزوفة كون لا تكتمل أبداً.

صمتت قليلاً ثم تابعت: ولا ينقطع وتر إلا من خوف أو خيانة.

أنا مذعور: خوف وخيانة! لا لست خائناً، بل خائف، خائف من السعادة التي لا أعرف وخائف من الغيمة الرمادية التي ما زالت تزداد دُكنة.

أخذت نفساً عميقاً وأردفت بجدية ووقار:

قد أخاف أحياناً ولكن ما كنت أبداً خوانا.

هي: أعرف أنك لست خائناً، فالخونة لا يسقطون من باب الحزن بل من باب الشيطان الذي قايضهم الجماد الزائل بلحن خالد كيما يبعثر سيمفونية البقاء. لكنك قد تكون ممن لا يعبؤون بالحياة، فلا يغوصون في حناياهم مستكشفين سرها. أنت ممن لا يحرك أوتاره فتأخذه الرتابة لينزوي كئيباً، بل صَدَأً صدِءاً بالكاد يدرك لحن الوجود. لكنني على ثقة بأن لحنك جميل؟

أنا: يا سيدة الألحان مَنْ أكون حتى يكون لي نغم؟ من أنا حتى يطرب لي شيء ما.

هي: أنت أنا بل أنت الوجود يا هذا... ما دمت موجوداً فأنت الوجود. اصنع اللحن الذي تريد في هذا العالم، عالمك. عندما ترحل يرحل معك عالمك ويسقط وتر من قيثارة الوجود. لكن لحنك سيبقى خالداً.

أنا: لم أعرف لحناً قط ولم أدرك بأنني سأخط على جدار الأزل رمزاً موسيقياً.

وضعت يدها على شفتي معلنة سكون الزمن في حضرتها... أخذت أناملها كأنما تواري زمناً مضى وقالت دون أن تلوك شفتيها حرفاً: أسبِلْ جفنيك واسمع اللحن، عد إلى أعماق وجودك إلى عمق الوجود، حيث كان لك وتر إلهي في جنة ستعود إليها... كيف ستعود إن أضعت لحنك. اللحن هو مفتاح الإياب.

اسكن إلى ذاتك واسمع حفيف الثواني يداعب فصول العمر. ألا تسمع همس روحك إلى الخلايا قبل ألف ألف عام. هناك كتبت لحناً تراقصت له درب التبانة فولدت نجماً كان يستعر بأنغامك، لكنه أفل مع اندحار لحنك أمام سطوة الكآبة. إنها هناك في السماء تنتظر رنين وترك لتستعر وتنير درب العاشقين في مساءات يغفو فيها القمر. اسمع نبض قلبك وهمس الدماء في مجرى عروقك، تنصَّت إلى همس روحك إلى بقايا وجدانك. تلمَّس الكون ببشرتك واسمع صدى الوجود.

أغمضت عينيَّ دهراً قبل أن أصحو على ضفائر تناغش* وجنتي تحت شمس ساطعة. وسمعت لحناً.

أسهب :أمعن في الشيء وتوسع

نغش اليه : مال إليه

ظِـلّي

كانت القصة طويلة جداً، عميقة عمق وجودي أحداثها كثيرة متراكمة تعجّ بقدر ابن آدم الذي ضجّ به كياني، فلم يعد بإمكاني أن أضيف عليها أحداثاً أُخر. لذا قررت البوح ببعض ما عندي كي أفسح المجال لأحداث جسام في سنوات قادمة أظنّها ستلفحني بلهيبها. كنت أخفي أسراري عن كل البشر بل كل المخلوقات لأنّها جزء من كياني الذي لا أريد فيه شريكاً. أما اليوم فقد ضاق بي الحال وفاض بي تراكم أسراري. حتى باتت مؤرقة فقررت أن أبوح ببعضها علني أجد لروحي متنفّساً.

خرجت باكراً علَّني أجد من يستحق أن أبوح له بأسراري، إن عاهدني على كتمان السّر قبل المضي قدماً في فتح كنوزي. طال بي الوقت حتى تخطى بي الزّمن ظهيرة ذلك اليوم دونما أمل إلى أن وصلت حديقة عامة، فسرت محاذياً أطرافها حتى لا يكدّر صفاء ذهني أحد، ريثما أهتدي إلى كاتم لأسراري. فجأة لمحت ظلّي وكأنّي لم أره من قبل. وجدته ساكناً، فبحت له برغبتي على ائتمانه أسراري فلم يبدِ اعتراضاً. عاهدته على الكتمان فبقي غارقاً في صمته فأدركت بأن السّكوت علامة الرضى. سرنا سوياً أخبره وأشكو، أنضح همومي على كيانه، فلم يتململ أو يتأفف بل بقي مصغياً مشنف الآذان مرتشفاً حروفي بصمت وسكينة. وكلما هززت برأسي هز برأسه بنفس الطريقة علامة رضاه وموافقته. وما أن وصلت إلى عمق تلك المأساة أخذني الهم فجلست على كرسي علي التقط شتات أفكاري، فما كان منه إلا أن جلس ملاصقاً لي. وضعت يدي على رأسي باكياً فجاملني بوضع يده على رأسه ولم ينزلها حتى أنزلت يدي احتراماً وتقديراً لشخصي.... كم هو راق هذا الظل.

لاحت شمس الغروب فرأيته قد بهت فخفت أن أفقده فسرت معه نحو منزلي دونما اعتراض وكأنه خائف أن يتركني وحيداً. دخل معي إلى العمارة وصعد الدرج بمحاذاتي خوف أن أقع. دخلت البيت الذي كان مظلماً فأحسست بقشعريرة فأردت أن أتكئ عليه فلم أجده. خفت، ارتعبت، أين ذهب

ظلي؟ من سيسمع بقية الحكاية، بل لماذا غادرني؟ من سيواسيني في وحدتي، من سيسمع لي. أين أنت يا ظلي؟ ندهت إليه في ظلمة المنزل عُد عُد يا صديقي، لكنّه توارى ورحل.

وعندما وصلت إلى مفتاح النّور وأدرته وجدته بجانبي. كان مختبئاً، ممازحاً هذا اللعين. دخلت غرفة النوم وقلت له يمكنك الخروج حتى أغيِّر ملابسي. بل ربما عليك أن تغيِّر ملابسك أيضاً فأنت تعِب وتحتاج إلى الراحة مثلي تماماً. نعم خذ بعضاً من ملابسي. لم يجب، بل بقي واقفاً حتى بدأت تغيير ملابسي ففاجأني بتغيير ملابسه بنفس اللحظة. لبست ثيابي ولبس شيئاً كان يخفيه فلم يستعمل شيئاً مما قدمته له، ربما كان خجِلاً. لا أدري لماذا يصر على الملابس السوداء مذ عرفته. ربما فقد أبويه صغيراً فنذر السواد طيلة وجوده.

تعرّفت عليه منذ بداية رحلتي على كوكب الأرض، غير أننا لم نتحاور أبداً، بل لم أعره أي اهتمام إلى أن كان هذا اليوم. نعم هنالك كثير ممن يرافقوننا ولا نكترث لهم مع أنهم جزء من حياتنا. عليَّ أن أبحث عن أولئك المنزوين في غيابات وجودي ذات يوم. أولئك الذين يُقدِّمون ويُضحُّون دون انتظار كلمة شكر، مَثَلهم كمثل ظلي الوفي.

كلّمته كثيراً حتى هاجمني سلطان الكرى بسهام النّعاس فطلبت منه الرّحيل رغم حاجتي له... لكنّه لم يفعل. رجوته أن يغادر فبقي ملازماً حتى أنّه تجوّل معي في أرجاء المنزل حتى أنّه غسل أسنانه مثلي واستعمل نفس المنشفة. تضايقت قليلاً فأنا أريد خصوصيتي ولا أسمح لأحد باستعمال منشفتي. لكنني تجاهلت الأمر ولم أخبره بشيء. أريده بجانبي حتى أسمعه بقية الحكاية علني أنام قرير العين.

جلس بجانبي على السرير مستمعاً إلى أن أخبرته بأنه علينا أن ننام. أطفأت النور فغضب مني ورحل.... لم أعد أراه. ناديته فلم يجب. هو لم يرحل بل عاد إلى منزله ليتركني أنام براحتي على ما أظن. لكنّني أحتاجه، أحتاج إلى حنانه، أريده أن يسمعني. لا أحد يسمعني، لم يتفهم أحد معاناتي من قبل. بل يظنني البعض معتوهاً عندما أخبرهم بأنني تركت حبيبتي وزوجتي وأولادي في الكوكب المربع وهاجرت إلى كوكب الأرض عندما كان كوكباً صغيراً هرباً من المسؤولية. لا ألومهم فقد كان ذاك أيام الطوفان. نعم لن ألوم أحداً فكل الذين ساعدوني قد رحلوا.

نمت بسلام تلك الليلة آملاً أن أحكي بقية قصتي لظلي يوم غدٍ... لن أذهب للعمل بل سأرافق ظلي إلى شاطئ البحر وأبوح له بالسر الأكبر. صحوت مع شروق الشمس نظرت حولي فلم أجده،

فتشت عليه من حولي فلم أره. ربما كان خجولاً من الدخول، لبست بسرعة خرجت من المنزل. لم يكن بانتظاري. الشّمس مشرقة وموعد حضوره تأخر.

أين ظلّي أين ظلّي؟ من رأى ظلّي؟

لم يجب أحد.

يا ويلتاه أصبحت بلا ظل. هجرني ظلّي بعدما عرف حقيقتي. بعدما عرف أنّني رجل ذو أسرار. بعدما علم بأنّني من كوكب آخر. يا للعنصريّة، يا لخيانة ذاك الظّل.

لن أخبركم المزيد حتى تنصتوا لي مرة أخرى. في المرّة المقبلة لن أخبركم عن ظلّي، بل سأخبركم عن... إذا ما وعدتموني بكتمان السر سأخبركم عن...

لا لن أخبركم حتى لا أفقدكم كما فقدت ظلّي.

عصير النجومِ... ومضةٌ من البعدِ الآخرِ

آخر مرة شوهدَ فيها كان مستلقياً على سطحِ ذلك البيت القديم الذي كان على شفا الانهيار من وجع السنين، وتراكم الثلوج على كاهله. كان جسمه ممدّداً على سطحٍ ترابيٍ قديمٍ بناه أجداده يوم كان الغزال رفيقَ الذئابِ.

كان يعد النّجوم ذاك اليوم كدأبه الأزليّ مذ بدأ يتنفس هواء كوكب الأرض. يعدّ ويعدّ حتى يسقط صريع سهام الكرى التي تصيبه في مقتل قبيل بزوغ الفجر. وعندما يصحو يخاف أن يذكر عدد النّجوم التي أعطاها رقماً وهمياً خوفاً من أن تنقرض كما قالت جدّته ذات يوم. لقد اتّخذ ألف عهد وعهد على نفسه كي يتوقّف عن العدّ حتى لا تصبح السّماء خرقاء* باليةً بلا نجوم فتبهت رموز الأزل التي تغشى القبة السّماوية. لكنّه لم يفِ بوعده أبداً.

آخر مرة، لألف عام خلت شعر بشيء ما يحاذيه بل جلس إلى جانبه، يكاد يلتصق به. اختار لهذا الشّيء صفة الأنثى لرقّة مشاعرها الدفاقة التي تسللت إليه كأشعة كونية لا يقدر على إيقافها أحد. ناجاها كأنثى وانتظر جواباً. لم يسمع صوتاً يداعب موجات النّسيم ولا لفحته ترددات صوت بشر، بل استشعر رفيف أجنحتها نسيماً من خلال كيان يهمس موسيقى حالمة تتراقص لها ملكاته. لم يخف منها ولم يرتعش فقد اعتاد زياراتها الصامتة مذ بدأ يعد النجوم. لكن هذا اليوم كان مختلفاً، لا بل هو عهد جديد، حيث سمع صوتها للمرة الأولى يخترق مشاعره قائلاً: وماذا بعد؟

ماذا بعد؟ تساءل الطفل الكبير دون رهبة أو مفاجأة كأنما ينتظر البوح منذ أن توقف عن شرب الحليب.

هي: أراك تعدّ النجوم ولا تقطفها. ذلك نوع من الجنون وإهدار للسّحر المكنون.

هو: لا أفهم... لا أعرف... بل أين أضع قِطافي إن أدركت سر القِطاف.

هي: أنا أعرف مواسم القطاف كما أستلذّ بطعم النجوم وسرها... نعم كنت مثلك قبل الطوفان العظيم أستلقي على سطح البسيطة أعد النّجوم بسذاجة طفلة بريئة.

هو: أكنت طفلة مثل البشر أيتها ال.... ماذا أنت؟

هي: لا يهمك سر كينونتي الآن... لكنّني أعدك أن تصبح مثلي ذات يوم إن وعيت ما أقول.

هو: كيف... كيف؟

هي: تعلّمت أن أضع النّجوم التي أَقطف بعد عدها في زجاجة حليب ورثتها عن طفولتي. ثم أخفقها جيداً بعد إضافة رحيق البدر مع بقايا محاق القمر الأزرق حتى ترتعش أوهامي وتتفجر آفاقي فأحلم بما أشاء ... وأصبح ما أريد. عصير النّجوم يا عزيزي يُنبت لك أجنحة من نور تحملك إلى حيث يتوقف الزمن.

هو: وأين يتوقف الزّمن يا أنت... ماذا تكونين؟ ليتك تريحين فضولي.

هي: يتوقّف الزّمن حين لا تصيبك آفة النّضوج فتستسيغك آفات البشر وتصبح رجلاً مُهِماً يموت قبل أن يحلم. سيسرقون منك مصَّاصة السكر ويلقبونك بالكبير كي تسكت عن لصوصيتهم. هكذا هم البشر يدفعون ثمن ألقاب واهية خلوداً كان منشوداً في نقاء سريرة دنَّسها الطمع بما لا يسمن ولا يغني من جوع... بينما يذهب اللصوص إلى مخادعهم مستمتعين بطفولتك المسلوبة في خداع مشروع قبلت به برحابة صدر أو غباء كان على قدر.

هو: كيف تعرفين أسرار الكبار وأنت طفلة أزلية... هل تتنصتين وحروفهم تسرقين.

هي: لا، لا تتهمني بسوءات البشر، فأنا كيانٌ نقيٌ طاهرٌ من شوائبهم. ستدرك أسراري يا صغيري عندما تشرب عصير النجوم ويأخذك السكون إلى البعد الآخر فتدرك الحقيقة. سترى حروف البشر نجسة قذرة تلّوث درب المجرات بكراهية محاسنهم. فلن تسأل بعد ذلك عن مساوئهم التي تجرفها حارسات الوجدان إلى هاوية القدر.

ارتبك الطفلُ.. خاف من الحدث... قال: لكنّني أريد أن أصبح رجلًا بشاربٍ كبير مثل مختار القرية. بل أريد أن أنفث سيجارة مثل أولئك الذين يجلسون على الرصيف ليطلقوا الغمام من أفواه فاغرة تضلل مسار النجوم. كم وددت أن أحمل سلاحاً مثل ذاك الرجل الغاضب الذي يخيف أهل القرية بعدما قتل عدداً لا بأس به من أبنائها. وعندما أكبر كثيراً سأكون مثل شيخ البلدة، مولانا رجل

الدين الذي لا يعمل شيئاً سوى وعظ دون قدوة والأكل حتى التخمة عندما يدعونه ليبارك سيئاتهم ويشاركهم مغانمهم.

هي: إن أردت ذلك فعد إلى بيتك واكبر. ابق هناك وإياك أن تعود إلى السطح كي تعد النجوم فتلعنك شجرة المجرة وتصبح بشراً. ابق حيث تريد واتخذ شارباً يستر جُبْنَك وسلاحاً تقتل به جارك. بل احمل السّبحة الطويلة التي تلفها على رقاب العباد بعد كل صلاة كي تسلبهم وجودهم وتبيعهم الأماني التي لا يملك سرها إلا الله. ابق بشراً..كَذَّاباً منافقاً.

أنت لا تريد البراءة، لأنك ابن العبيد الذين عشقوا دهاليز الاستبداد. الذين يخافون النور والمعرفة، كي لا تُفضح قباحة وجودهم وجهلهم المقيت. أنت لا تريد أن تُحَلِّق كالهيثم* حتى تصبح نسراً بل تريد أن تحيا حياة الأموات وتحتال كالضغابيس كي تسرق الفتات.

رأته ساكناً مشدوهاً من إدراكها لمشاعر بشرية غادرتها منذ أمد طويل فتابعت حديثها مغرية إياه بمحاسن ما آلت إليه: ألا تريد أن تنام فوق غيمة الربيع أو أن تنساب قطرة ماء من مزن السماء. يا لذاك الشعور بالصفاء والنقاء عندما تغادر المزن إلى شفاه يابسة سيعيدك شكرها للرحمن إلى المزن ثانية. لماذا لا تكون بسمة حنان أو رقصة مجنونة في صحراء خاوية لا تخاف فيها لومة لائم.

ردَّ الطفلُ بعفويةِ كينونته وبساطة حرفه: كيف كيف.... كيف أرحل معك؟

هي: اشرب عصير النجوم قبل سطوع الفجر لتختفي عن عيون البشر ولا تتخذ غيره شراباً. اختصر طعامك على أقراص المجرات مع حرصك على جمع النجوم البيضاء صيفاً والزرقاء شتاء لينبت لك جناحان من قمح أزلي تنقره عصافير الخلود... ويوماً بعد يوم ستصبح مثلي أيقونة لا يعرف سرها إلا خالقها.

هو: ألن أعودَ طفلاً يتهمه البشر بالخَبَل* لأنه يعد النجومَ.

هي: ما دام لسانك يلهج بالشكر لله مهللاً مكبراً ستكون في أمانٍ... سترافقك حوريات الربيع عبر حر وصقيع إلى أبواب الحقيقة لتدرك سر الوجود فتغدو كائناً يدرك أن حقيقة الوجود إنما هي صراع البقاء من أجل النقاء.

الهيثم: ابن النسر

الضغابيس: أبناء الثعلب

الخرقاء: الأرضُ الواسعة تَنْخرِق فيها الرّياحُ

الخبلُ: مسّ من الجنون.

غموضٌ

بينما كنت أداعب النجومَ التي هوت على رمال الشاطئ أحسست برقةِ شوقٍ دفينٍ في قلب إحدى النجوم. جلست أفتش بين النجوم الهائمة فوق زبد البحر، حتى وجدت نجمة حمراء اللون رقيقة الملمس حملتها فأخذني الحنين إلى أيام وسنين.

قلت: مَنْ أنتَ؟

قالت: بكاءُ حبيبٍ وشوقُ مسافرٍ.

قلتُ: مِنْ أين أتيت؟

قالت: من لوعة فارقة، ودموع حارقة.

قلتُ: ومن صنعك؟

قالت: كتبتني مليكة على الأرض بأحرف لا تُرى وحبر لا يدمغ وبسمة تحمل عبق الأحلام.

قلت: وكيف تركتها؟

قالت: أنا لم أَتركها، فهي أنا وأنا هي.

قلت: ولِمَ جِئتِني؟

قالت: أنا في كل مكانٍ أنا شوق إنسان، أتيت لقلب خافقٍ وحبّ دافق.

قلت: وكيف أدركت مكنوناتي؟

قالت: لأنّك ملكي أنسيت أنك وهبت لي روحك.

فمَنْ هي؟ بل مَنْ أنا؟

واختفى

لملم شتات نفسه من زحام سنوات طوال، حتى أدرك أنه يملك قيوده. مذ أن جرت في خياشيمه سبل الحياة وهو مكبل بقيود عديدة. قيد الهواء والماء، قيد اسم لم يُستشر به رغم أنه لم يستسغه يوماً. توالت قيود الطبيعة التي حدّت من رغبته في الانطلاق حيث يشاء. ها هو حبيس جسد بالكاد يتحرك أسرع من سلحفاة وأقل من ذبابة. قيود المجتمع وأعرافه، قيود الحاكم وأحكامه، قيود أمسكت مشاعره، عقله حتى سنوات عمره باتت رهينة بالقبول بما لا يؤمن ويعمل ما لا يشاء. وجد ألف قناع يحيط بوجهه، ألف رداء يكتسيه غصباً وكرهاً. أقنعة بشر متراكمة وآثام أقترفها سهواً وعمداً. ما أثقل الجسد عندما يئن تحت وطأة نفس أمارة بالسوء نتيجة تراكمات تربية سيئة في مجتمع فاسد يفخر بعقوقه واستبداده. الكل مستبدّ في عالمه. السلطان يمتطى حاشيته حيث لا يدري، والحاشية تسوق الرعاع إلى واد غير ذي زرع. وكلّ رب أسرة يجلد عبيده كما يجلده سيده انتقاماً لنفس لا يجد لها متنفّساً إلا فيمن ولدهم غصباً وكرهاً تحت شعار حب واه كان طُعماً لاصطياد حسناء تشاركه وحدة السرير.

تملّك زمام قيوده، أحكم سيطرته من معاقل تصميمه على التحرر من سلاسل عبوديته الأزليّة وفتح باب سجنه لمن يحتجز باسم الأبوة والزوجيّة والحبّ ورمى لهم المفتاح. أغمض عينيه حتى عشق ظلاماً حرر بصيرته وانطلق نازعاً أقنعة الزيف كمن يقتلع شجرة سنديان أصيلة غير آبه بكم الحشرات التي ستنهش كيانه وزلزلة الأرض تحت قدميه.

أخيراً تخلّص من أسمال* أفكاره الباليّة التي ورثها أبّا عن جد. أسمال عمرها قديم، أقدم من عمر شيطان رجيم. شعر بخفة الجسد وانطلاق الرّوح إلى حيث لم تأخذه أحلامه قط فأخذ يعدو غير آبه لعريه وللأعين التي تقتحم جسداً ألهبته سياط العبوديّة عبر السنين، بل لم يكترث للأنامل التي

أشارت إليه شريداً متمرداً خاسراً. وتهاوت أسهم السوء ألسنة بؤس وشقاء من كل حدب وصوب لتحط من عزيمته أمام إصراره على الانطلاق دون النظر إلى الخلف.

أخذ يركض ويركض حتى تخلص من شوائب الجسد، مد يده ناحية السماء وقطف الشمس والقمر والتقفهما على استحياء لتعود السماء داكنة لا دليل بها إلا بصيرة نافذة. حط رحاله عند بوابة الوجود حيث الحاضر والماضي لحظة واحدة لا يليهما مستقبل. تفتتت الأوقات أمام ناظريه كما تفتتت تحت قدميه رفات الراحلين. خلع نعليه، تيمم بحفنة من بقاياهم وصلى صلاة الوداع عارياً.

مرّ ردح من الزّمن طغى على سجدة النسيان حتى آن أوان البصيرة ... رفع رأسه وقال: تذكرتك فعدت نقياً... هل تذكرني؟

خطا خطوة واحدة إلى الأمام واختفى.

أسمال : ثيابُ بالية وقديمة تدلّ أسْماله على فقرة الشّديد.

أعدت العهدة

إنّهم يأتون بأعداد كثيرة... لا لن أفتح الباب مجدّداً فليعودوا من حيث أتوا. لا أدري لماذا لا أستطيع النّوم والرّاحة منذ تلك الحادثة التي جعلتني صيداً ثميناً لسلطان الأرق الذي هدَّ كياني. فأنا في النهاية مخلوق يعمل بجدّ وأمانة ويحتاج إلى الراحة.

لم تكن هذه المرّة هي الأولى التي تقوم بها هذه المخلوقات بأفعال غريبة. كلهم يريدون العودة لإنهاء شيء ما. دائما ذلك الشيء خطير ومثير كما يدَّعون. لم أعرف ما هو ذلك الشّيء، بصراحة لم يهمني أمرها قبل تلك الحادثة. فلم يكن هكذا حالي في الماضي، لقد عشت قروناً طوالاً دون كلل أو ملل، دون أن ألتفت إلى هذه الجراثيم التي أضعها في ثلاجة الأزل حتى يستدعيها ربها لموعد كان مكتوباً.

لقد بدأ هذا الوضع مذ تمسّك بي ذاك المخلوق العجوز فور توريده واخترق كياني مستحلفاً إياي بالرحمن الرحيم أن أرحمه وأرده من حيث أتى لبضع ساعات لينجز شيئاً ما. شيء لم ينجزه طيلة وجوده على كوكب الأرض ويريد إنجازه بسويعات قليلة. لقد بقي متمسكاً بي لفترة غير وجيزة كي أعيده. "يجب أن أعيد حقي... لقد جئتم بي دون سابق إنذار، أريد أن أصفِّي حساباتي، دعني أعدْ، دعني أعدْ". يومها أقسم وأقسم بأن الأمر يستحق عناء العودة والمحاولة لإصلاح شيء ما. لقد أخبرته يومها بأنه في حقبة أخرى من الزمن وعودته قد تنتهي به في مكان آخر أو زمن غير الذي يعرف. لم يكترث بمقولتي وبقي متمسكاً بي ويقوم بحركات غريبة. عندما أمسك بيدي بجنون لم أفهمه. ظننته سيعضني، سيركلني، لكنه قَبَّل يدي وطلب مني العودة لفترة وجيزة. لم أتحمله يومها ولم أدرِ ما أفعل حتى جاءني الأمر بإعادته إلى كوكب الأرض في نفس العربة التي قدم بها. يومها فاضت منه رائحة البشر، من نفس آدمية عقيمة تنمو على كوكب الأرض وتتكاثر في ساعات. يا لهذه المخلوقات من آفة، إنها تأكل كل شيء على كوكب الأرض. حاولت ذات مرة أن أفهم سر هذا

المخلوق فلم أقدر. المخلوقات الأخرى تقتصر قوتها على أنواع بسيطة من الخضار أو اللحوم ولا تعبث بشيء حين تشبع. أما هذا المخلوق فيأكل كل شيء، حتى انه يأكل بعضه البعض أحياناً. لقد كان كوكب الأرض منتجعاً جيداً قبل وصول هذا الجنس الغريب في صورة مفاجئة أرادها الرحمن لسبب لا تدركه عقولنا المحدودة. ما يهمني أولاً وآخراً هو أن أقضي إجازة مريحة في مكان ما بعيداً عن هذا الجو الملوث ببني آدم. وجودهم على كوكب الأرض اضطرنا أن نغير وجهة سفرنا عن كوكب الأرض منذ قرون طويلة. اتجهنا إلى كواكب أخرى في مجرات بعيدة من أجل قضاء عطلة مريحة. مما زاد علينا المصاريف، كما أصبحت الرحلات مضنية فالمجرات الأخرى بعيدة جداً.

تلك الحادثة وغيرها زرعت في ذاتي فضولاً للعودة إلى كوكب الأرض بعد قرون طويلة لمحاولة التعّرف على تطور جنس البشر علني أكتب قصة قصيرة في سجل ذكرياتي. ربما زادت لهفتي لمعرفة خبايا البشر بعدما أرّقني ذلك العجوز حيث لم يعد كما وعد. هو يعتقد بأنّه هرب دون أن يدري حكمة الله في تركه طريداً.

وصلت إلى مكان غريب في قرية نائية اختارها مكتب السفر فوجدت الناس تتزاحم في مكان ضيق مطلقين دعوات، طالبين تبريكات من شيء ما في غرفة مظلمة عند آخر الدهليز. يبدو انها بداية جيدة عامرة بالإثارة. سرت حثيثاً في زحام تعتصرني فيه روائح عقيمة تتحرك بأرواح حان قطاف كثير منها.

رجل عجوز في ركن تتكاثف عليه أجداث البشر طالبة الدعاء والبركة.

من هذا؟ سألت من يسير محاذياً.

قال: ألم تسمع عن الرجل الذي مات وعاد إلى الحياة؟

قلت: لا، لم أسمع... كيف حصل هذا؟

قال: عاش في قديم الزمان رجل غريب الأطوار، له في كل فن باع حتى ذاع صيته في الأصقاع. عمله كان فناً متقناً، لباسه أسمال باليه، لا ينام حتى ينهي ما بين يديه ولا يصحو إلا ليبدأ سحراً جديداً إلى أن خرج ذات يوم كعاصفة هوجاء بعد بيات طويل إلى أصل صخرة صلداء وسط المدينة وأخذ ينحت فيها بمطرقة وإزميل أياماً حتى بدت كمسلة بيضاوية. استراح تحتها لدهر نائماً حتى استيقظ بفارغ السعادة يغني ويتراقص على ألحان مطرقته تزف الإزميل بهجة اللقاء. تجمهر الناس حول الصّخرة حيث تتجلّى بداخلها حوريّة من صلد أصم. تخاصم الناس في شأن الجسد

العاري المثير لمشاعر الرجال بتكوينه الصّادق لجسد أنثى. لكن لم يعترض أحد كون كل من الرجال والنساء على حد سواء مسته مشاعر صلة بهذا الجسد الأصم. الكل كان ينتظر الرأس ليكون هوية ترفع من شأنه أو تحطها.

وفجأة ارتعد الجميع وتفرقت الجمهرة فالوجه تجلى عن أنثى يعرفها الجميع. حضر الحرس الملكي وأعلنوا عليه الحد كونه جسد أميرة البلاد التي اختفت من دون سابق إنذار يوم بدأ النحت. تدخل قاضي القضاة ليستجوب الفنان عن مصير الأميرة.

لم يتكلم، لم يصرخ لم يبكِ بل صمت صمتاً مدوياً أرّق من حوله. بعدما انقطع الرجاء باجتثاث كلمة واحدة من هذا الكيان الغريب أمر القاضي بقتله مديناً إياه بخطف الأميرة. ما أن اقترب السياف منه حتى سقط ميتاً. لم يكن ما أسقطه رعباً، لم يكن خوفاً... فقط مات.

أمر القاضي بهدم التّمثال وذريه فتافيت لا تحمل للتّمثال أثراً. وبعد أعوام نهض الميت من قبره -كما كان دائماً- حائراً صامتاً سارح النظرات تتوسد جفنيه السفليين بركة دموع. توجه الى حيث كان التّمثال فلم بجده، بحث في كل مكان فلم يشتم له أثراً. لم يجرؤ أحد على مواجهة غضبه الذي أصبح شبحه الدائم. اقترب منه أحد الحرس وأخبره بالحقيقة فقتله على الفور، قتل كل من صادفه، لم تسعف النبال والأسلحة وقوة الحرس في ردعه. قيل بأنه عاد بقوى شيطانية، وقيل بأنه تآخى مع إبليس. بل قيل بأنه ابن عرافة تعشق الدماء كتبت منذ عهد بعيد على هذه المدينة الموت والشقاء. خرج الجميع من المدينة وأصبحت أثراً بعد عين. بنى هذا الرجل كوخاً مكان الصخرة وجلس فيه لا يأكل ولا يشرب، لا يتكلم ولا يموت... كل ما هنالك خريطة فوق الرجل بها طلاسم لم يقدر أحد على حلها.

أخذتني نظرات العجب المتسائلة عن الرجل، فَهِم محادثي ما أريد وقال: أدخل إنه هنا في هذه الغرفة.

دخلت متحيراً من قصة لم أسمع بغرابتها على مدى آلاف السنين من عملي عبر كل شبر من هذا الكوكب. رأيت جسداً بلا روح توقد حياته ووجدت الروح معلقة في فضاء تنتظرني أقطفها. فوقهما خريطة الطلاسم، قرأتها: بينما كنت نائماً وجدت نفسي في حضرة حورية بكر، عارية متوهجة الأنوثة، معطرة بجمال يفوق قدرتي على الرسم أو الوصف او الشرح. لم تثر شهواتي بل حملتني إلى سكون وجود جمال لم أعهده. أخذت نفساً عميقاً فوجدتها تنزلق إلى داخلي، خفت مرتعشاً وصرت أتنفس بسرعة هواء يحمل كيانها إلى أعماقي نسيماً رقيق المشاعر استنشقته حتى

غُشي عليّ. وما إن فقدت رباط الدنيا حتى جاءني زائر في المنام قائلاً: تنفسها في صخرة الساحة. فزعت وركضت الى الصخرة وتنفست كياني حتى زفرتها.

عدت الى مخدعي أرتعد مما حصل، لكن زائر الأحلام عاد مسرعاً وقال: حررها من الصخرة حتى يتوحد كيانكما.

ما إن أشرق الصبح حتى كنت أمام الصخرة أتفحصها، فرأيت تلك الحورية في عمق الصخرة كياناً كاملاً. التقت عيوننا، أرسلت رسالة استغاثة تطلب فيها الحرية والرأفة في تحريرها، بدأت العمل حتى أنقذت جسدها تاركاً وجهها حتى النهاية. وعندما استرحت من عياء وجهد استسلمت للسكون مغمضاً عيني. اقتحمت سكينتي ورأيتها أمامي وجداناً يناجيني:حررني من سجن الصمت.

قلت: من أنت؟

قالت: أنا بعضك، بل كلك.

قلت: لا أذكر أني فقدت بعضي.

قالت: كيف لا وأنت تبحث عن بعضك المفقود؟

قلت: إذاً أنت بدورك تبحثين.

قالت: ها قد آن الأوان لنندمج كما نصت الدساتير.

قلت: عن أي دساتير تتحدثين؟

قالت: ويحك، ألا تذكر؟ عد إلى نقطة البداية حيث تفرقت الأنفس شيعاً فتاه كل زوج عن زوجه في امتحان البحث عن الذات. فقط الأزواج التي تندمج ثانية تعود إلى محارة العرش.

أردت أن أتكلم وأستفسر فقاطعتني قائلة: لا تجادل بل أخرجني إلى كيانك حتى نموت سوياً ونصعد إلى حيث يجب أن نكون... جرس الإنذار يومىء بنهاية السباق.

لا أدري كيف ضاءت أمامي الحقيقة وعدت إلى عصر البداية يوم رأيتنا ننزع من كينونتنا لنسابق في صراع البهاء الأزلي. مرت قرون قبل أن أحظى بجسد أستغله في مهمة غاصت في أدراج نسياني. انطلقت من توي إليها محرراً. وعلى ما يبدو أن ملك الموت جاء باكراً، بل ربما

تأخرت في إنجاز مهتمي. وفي النهاية سرقني ملك الموت دون حق كما اعتقد لفترة ظننتها وجيزة. وعندما أعادني من الحجز الغاشم وجدتهم قد قتلوا روحي في سجنها، خطفوا الأمل الوحيد الذي يعيدني كياناً كاملاً في محارة العرش. لم أتمالك نفسي ولم أدرك عظمة القوة والخلود التي عدت بها من فناء فقتلت الجميع، دمرت المدينة ولم أحظَ ببارقة أمل يعديني إلى بعض روحي.

ها أنا بلا روح انتظر ملك الموت يقفل بقية أسباب الحياة علني أقابل زوج خلودي التي قضت شهيدة الجهل.

وقفت لحظات طوال أعيد القراءة وأتساءل عن كيفية سقوط هذا الكيان من سجلاتي. لا يجدر ببشر أن يعيش هذا العمر كما لم يجدر به أن يعود بقوى الخلود. سكنت إلى جوارحي مؤنباً لها تجاوز الأدب في مشيئة الرحمن.

اقتربت من «الصالح»... التقت عينانا.... أمسكت بروحه نازعاً فسقط ميتاً.

قطعت إجازتي وأعدت العهدة.

التحام

لم تصحُ من منامها قط لأنها لم تكن يقظة أبداً.

لم تزل مترنحة منذ الأزل، منذ ولادتها في هذه المدينة الصاخبة.

أليست كل المدن صاخبة؟ أليست الحضارة الإسمنتية هي التي تعكس التصاقات المادة بالعقل البشري على نواة الرّوح فتصبغها صبغاً باهتاً؟ التصاقات ومفاهيم ولدت صغيرة في غياهب التاريخ وتغذّت على بريق العلاقة المتنامية بين بني البشر الأحياء والمادة الصماء الجرداء. أهي ذات منافع متبادلة بين البشر والمادة من حيث لا ندري؟

لم تعد جوارحها قادرة على التأقلم مع صخب الحياة، مع أنّه من المفترض أنّها قد أصبحت جزءاً من كيانها. لكن انتشار الفوضى الخلاقة في مفاهيمها المبهمة هزّ كيانها. كما تملّكها كابوس متراكم أصابها بالهلع من جراء وجودها في كون صناعيّ بحت لا تنبض فيه حياة. أخذها الرّعب من فقدان هويتها. لا زالت تنزوي شيئاً فشيئاً بين ثناياها تحت تراكم مغريات المادة الصّاخبة التي تعجّ بها هذه الحضارة حتى ضاقت بها الدنيا بما رحبت.

وفي جنح زمن لم يكن له حسبان انطلقت متمرّدة هاربة عبر ألوان براقة، أبنية شاهقة وشوارع فسيحة ضاقت بها حد الاختناق إلى مجهول الخلاص. انسلت من زحمة الوجود حيث ناجاها الأمل عبر أجساد تعمل على إرساء قواعد منظومة الفشل الحضاري.

قادها حدسها خلف أسوار المدينة حيث تتقزم أبنية تناطح السحاب أمام عظمة الجبال الراسيات. بدأت تتسلّق هضاب الانعتاق في جهد مؤرق هدَّ كيانها بينما تتملّص من ماديات بني البشر... تناست عملها وبيتها وأملاكها... انتزعت نفسها من أواصر العلاقات البشريّة رغم أواصر الحنين والمودة. فَرِحلة الانعتاق إنما هي رحلة ذات نحو حقيقة الوجود. بكت وناحت إلى أن زاغ

بصرها وغدا بصيرة ثاقبة أخذتها خلف حبها وأحقادها. تخلصت من مشاعر الأنثى ولهيب منحنياتها لتدرك أن الجمال الكوني هو دثار الوجود وحقيقة الجمال تكمن في اندماج المادة والروح. ما عاد الماء والهواء ضرورة حياة في عدوها نحو العلياء عبر أشجار الخلود وثلوج الأبد التي رصفتها خفقات التاريخ على أنغام الأحلام البائدة.

ركنت بعد عناء إلى قمة بيضاء لم تدنسها صراعات السطوة أو تهتكها أسلحة الطغيان. أخذها سحر ديمة تلتف حول القمة بصفائها ونقائها، فأبحرت في جمالها ردحاً من الزمن إلى أن دعتها إليها... لم تنتظر، لم تفكر، بل امتطت ظهر فراشة غير موجودة وانطلقت في عمق السحابة لتلتحم بها على أنغام رعد يتراقص له برق الوجود، فشعرت بالحرية ووحدانية الكون عندما تخلصت من أَسْر بشريتها واستحالت تسنيماً نقياً تساقط فوق المدينة تغسل شاهقاتها من الكبرياء وشوارعها من الأدران، مصلية صلاة الخلاص على الأبدان الهائمة...وكَفَّنت أرواحاً ما زالت سجينة أطماع لا تنتهي.

الخديج

وجد نفسه يسبح في الهواء، ويسابقُ النجومَ وينالُ ما يشاءُ من خيراتٍ لم يحلمُ بها قط. بل كان يأمر فيُطاع وتُستجاب رغباته بأسرع مما يتصوّر. لقد حقق حلمه الطفولي بأن يكون شخصية كرتونية فوجد نفسه في عالم حالم يتألق فيه كما يريد. ها هو يتحوَّل من فأر عجيب إلى رجل خارق ومن مجرم إلى رجل عنكبوت. يطير، يخترق ويُقطِّع إرباً ثم يعود كما كان دون أذية. كانت متعة لم يكن ليتصورها قبل هذا الارتقاء الذي حدث منذ فترة قصيرة كما يبدو له. حاول أن يتذكر اللحظات السابقة فما وجد غير صور متفرقة لزحام وضوضاء، علو وارتقاء، وحدة وسكون. لم يفهم ولم يقدر.

كانت تصيبه أو تهاجمه نوبات من النسيان أو فقدان مقاطع من تسلسل ذاكرته. أحياناً لا يجد أسماءً لصور أشخاص تمر في خياله. أو تفسيراً لصورة ترتد من الماضي كشبح يداعب وحدته عندما يجلس منفرداً. بعض الكلمات لم يعد لها معنى أو دلالة توقظ مشاعر متداخلة. لم يعرف بعد أين هو؟ لا يدري أين ذهبت خصوصيته التي يعتز بها، بل لا يدري منبت الشمس في كوكب لا يُظلم أبداً إلا إذا اشتهى ذلك.

أهي أوهام؟ هل أصبح مجنوناً أم أصابته نفحات ساحرة ملعونة؟

هل مات فعلاً وهذه جنة الخلد؟ هل من المعقول أن تخلو جنة الخلد من أحد يكلمه أو يرشده إلى طريقه؟ أليس هناك من دليل أو خريطة سياحية لو جاز التعبير؟

مذ أن وجد نفسه هنا دون أن يعرف كيف ومتى جاء وهو يلقى عناية وترحاباً من كيانات نورانيّة على ما يبدو، لم تتفوّه بكلمة قط، لكنّها تنفذ أوامره قبل أن ينطق بها. الغريب أنه فقد جسده البشري الذي كان يسكنه قبل وصوله إلى هنا، وهذا ما دعاه للاعتقاد بأنه قد ارتقى إلى كيان أفضل،

بل وجد نفسه محشوراً في جسد أشبه بلعبة نورانية كأثواب الزاهدين التي قرأ عنها أو ألبسة راقصي السامبا في البرازيل في ليلة مقمرة. ارتبك في البداية وخاف أن يسقط الرداء عن الجسد ذاتَ مرة فيفتضح أمره، لكنّه بعد فترة أدرك بأن الأجساد حيث هو تبدو كحاله فسكنت جوارحه على وجل. هو لم يفهم بعد لكنه تقبل الوضع كي لا يفضح جهله بما يجري رغم ما أرّقه من التّغييرات الجذرية التي حصلت بتتابع مخيف. ولسببٍ، ما زال يعتقد بأن نظرية الارتقاء إلى كائن أفضل أقل إقناعاً من نظرية موته وبأن هذه هي الجنة. لم يتيقن بعد من خبر موته أو ارتقائه فلم يُستدعَ ليوم حساب ولم يُضرب عليه من الهلع حجاب. بل لم يرَ منكراً أو نكيراً ولا يذكر بأنه قابل مساعدي عزرائيل المتخصصين بالقبض على روحه ضرباً بالسياط وركلاً على المؤخرة من كائنات سوداء تحمل منجلاً أو أنه قابل أصحاب الأثواب البيضاء الذين يبشون له تكريماً فيدرك إن كانت روحه طيبة أم خبيثة، كما قال كهنة كوكب الأرض وحاملي خزائن المعرفة بالبعد الآخر. كذلك لم يتذكر مقابلة عزرائيل نفسه الموعودة به ككل نفس ذائقة الموت. حاول جاهداً أن يتذكر لحظاته الأخيرة على كوكب الأرض فلم يقدر أن يتذكر إلا جلوسه على كرسي وثير في مكان ما حين شعر بالنعاس الشديد وسقط في قبضة سلطان الكرى في نوم عميق لم يخرج منه قط إلا على هذه الحالة. كذلك تذكر صوراً يراها من علياء لحشد غفير في بقعة نائية لم يقدر على حل أحجية رموزها.

خرج ذات صباح في رحلة فردية ليتسلق دوحة غريبة تكتنزها الأزهار والثمار من كل ما لذ وطاب. فبين غصن وغصن مسافات تكتنفها أعشاش عصافير وأوكار نحل وغيرها من مخلوقات لم يرها من قبل. تسلق مشدوهاً وسار على الأغصان دون خوف حتى دخل تجويفاً هائلاً تتخلّله أنوار لم يتبين مصدرها. وعلى غصن يمتد بعيداً في الفضاء تطل أقاصيه على وادٍ سحيق رأى كياناً منيراً مستلقياً دون حراك لساعات. كيان يشبه من رآهم منذ قدومه لكن بسمو وهيبة أعمق مما عهده في هذا المكان. غاب عنه فترة طويلة مستكشفاً دوحة العالم الجديد. وعند عودته من الطريق نفسها خوفاً من المتاهة، وجده في مكانه لم يتحرك قيد أنملة.

أخذه القلق وخاف عليه أن يكون ميتاً وتساءل مع ذاته إذا ما كان هذا الكيان حقيقة أم تحفة فنية. بل تملّكه الخوف عندما أدرك أنْ لو كان هذا الكائن ميتاً فإن نظريته حول وجوده في الجنة قد تبخرَّت. اقترب قليلاً قليلاً حتى أصبح مواجهاً له وألقى التحية سلاماً فأُجيب بأحسن منها.

قال: أأنت بخير؟

أجاب الكيان: كيف لا أكون بخير وأنا في إجازة.

قال عبد الله: ظننتك في خطر حيث لا تتحرك.

أجاب الكيان: لا خطر في هذا المكان فالكلُ سعيدٌ.

عبد الله: اعذرني على فضولي، لقد قلت إنك في إجازة، ولم أصادف مكاناً للعمل منذ أن جئت هنا. ماذا تعمل؟

الكيان: هذا لأنك من كوكب الأرض.

عبد الله: ماذا تعني؟ بل هل هناك مخلوقات من كواكب أخرى كذلك؟

الكيان: رويدك يا ابن الأرض. لا بد أن تكون من هناك ففضولك أرضي بامتياز، وخوفك من المجهول بشري صرف.

عبد الله: وماذا عن المخلوقات الأخرى؟ أجبني من فضلك.

الكيان: لا وجود للمخلوقات هنا أبداً.

عبد الله: وماذا أنا؟ هل أنا شبح أم عدم؟

الكيان: رويدك رويدك... ما كان يجدر بي أن أجيبك فأنت ما زلت تحتفظ ببقايا الأرضيين، يبدو أنك خديج خرج قبل أوانه.

عبد الله منبهراً: خديج!!! وهل كنت في رحم أم لا أعرفها بعد عمري الطويل هذا. أنت تخيفني وتزيد من كآبة مشاعر لم أعد أذكر اسمها.

الكيان: ما أنت إلا روح كانت على كوكب الأرض لردهة من الزمن. كغيرك من أرواح الكائنات عبر المجرات.

عبد الله: وماذا عن جسدي؟ أهو للزينة أم أنك لا تراه. قل لي ما تراني؟

الكيان: نعم هذا جسد للزينة فقط سترميه بعد برهة من الزمن قد تساوي بضع سنوات أرضية، أعني بعد إعادة تأهيلك. يا هذا دعك مما تسأل ولا تشغل بالك فبعد عدة أيام ستنسى كل شيء. وكما أخبرتك أنا في إجازة.

عبد الله: ما بالك كلما أجبتني أكثر زدتني ضياعاً ورهبة؟ إذا لم أكن في الجنة فأين أنا؟ ألا تراني أعيش في رغد وتستجاب طلباتي. وكيف يمكن أن أكون في الجنة قبل يوم الحساب؟

الكيان: مهلاً مهلاً لقد شططت كثيراً يا عبد الله. فما تراه لا يوازي الجنة بتاتاً، أما يوم الحساب فليس من شأنك، إنه شأن النفس التي كنت تزودها بطاقة الوجود.

عبد الله: كيف ذلك وأنا والنفس سواء.

الكيان: ألم تسمع قول الرحمن «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية؟» ولم يقل «أيتها الروح».

عبد الله: إذاً أين هي نفسي الآن؟

الكيان: إنها ليست نفسك، كنتما فريق عمل واحد مع الجسد. النفس في حيز ما بعد حاجز البرزخ تنتظر يوم القيامة، أما أنت ففي مركز التأهيل.

عبد الله: ظننتك طاهراً طيباً، لكن تبدو عليك سمات الجنون. فلم تقل أي شيء عقلاني حتى الآن. بل أظنك تستخف بي وتهزأ من وجودي الذي لا أعرف سببه في هذا المكان الغريب. بل كيف سُمح لك أن تكون هنا؟

الكيان: تصرفاتك غير طبيعية، أنا متأكد من أنك خرجت من المحطة باكراً كطفل خديج كما يقال. ما كان يجدر بهم أن يدعوك تخرج قبل التأكد من حالتك وجهوزيتك للمهمة التالية.

عبد الله: ولكن كيف يمكن ألَّا أكون جزءاً من كيان بشري كان على الأرض؟

الكيان: دعني أقارب لك المسألة على نحو ما تعلمت في رحلتك الأخيرة إلى كوكب الأرض. هب أن لديك حاسباً آلياً. ألا تراه مؤلفاً من جهاز معدني له شاشة تمده الكهرباء بالطاقة وفيه قرص صلب يحتوي على البرامج التي تشغل الجهاز؟

عبد الله: نعم، وما شأن هذا في سؤالي.

الكيان: الجسد هو الجهاز الذي لا يفيد بشيء إذا لم تصله الكهرباء لتشغل القرص الصلب. والروح التي هي أنت توازي الكهرباء التي توصل الطاقة فلا تفيد أو تستفيد من المعلومات بشيء.

أما النفس فهي ذلك القرص الذي يحتوي كل البرامج المشغلة والمعلومات التي هي في الحقيقة جهاز الحاسوب. عندما ينزع القرص لا قيمة للجهاز ولا فائدة من الكهرباء.

عبد الله: هل أنا بلا فائدة يا هذا؟ ألا تعرف قيمتي؟

الكيان: أنت مصاب بصدمة ولا تريد إدراك الحقيقة مع أن مهمتك مهمة جداً في تسهيل وتسيير ما تريد النفس تحقيقه لاتمام اختبارها بنجاح. لكن وللحقيقة أنت والجسد لا قيمة لكما بدون النفس. النفس وحدها هي ذات القيمة. أنت لا تملك قدرة التفكير، بل لا تملك صفة القرار وما بك الآن ما هو إلا بقايا معلومات استقيتها من هنا وهناك فوق ذلك الكوكب الأزرق الصغير. يجدر بك العودة إلى مركز التأهيل.

عبد الله: ها أنت تتهمني بالجنون؟ هل سترسل في طلب الحرس كي يأخذونني؟

ما كاد عبد الله ينتهي من الكلام حتى شعر بأنه مقيد ويحمله شيء ما إلى مكان ما. صرخ وبشدة: أيها الكيان ما بالك تتصرف كأهل الأرض وأنت لست منهم؟ أنت تظلمني.

الكيان: مهلاً، إنما أقوم بعملي بعدما أرَّقت إجازتي التي هي عبارة عن استرخاء كلي لبضعة أيام في حسابكم. لقد تجاوزت حدودي بالشرح لك.

عبد الله: وما هو عملك؟ بل كيف تقيد حريتي عندما عجزت عن اقناعي بالحقيقة؟

الكيان: حسن سأبلغك بالحقيقة بينما القيد الهيولي يُقيد جسدك كله. سأبلغك بالحقيقة لأنك ستنساها بعد أيام.

عبد الله: إذاً، أخبرني ماذا تعمل هنا، بل أين أنا؟ هل أنا مخطوف أم إنكم كيانات فضائية تجرون عليَّ بعض التجارب بوسيلة جهنمية.

الكيان: أنت يا عبد الله في مركز إعادة التأهيل. وأنا أعمل هنا. كل ما تراه ما هو إلا مركز إعادة تأهيل الأرواح التي تم استخدامها في أجساد مضيفة على كوكب ما لتخدم النفوس التي أرسلها الرحمن في مهمة هو وحده يدركها.

عبد الله: لا شك أنك تهذي. هل تريد إقناعي بأن هذا الكوكب الشاسع هو مركز إعادة التأهل. بل تأهيل ماذا؟

الكيان: تأهيلكم للاستخدام مرة أخرى، تأهيل كافة الأرواح عبر المجرات. كما أُشرف على صناعة محطات السفر والعودة لكيانات مختلفة عبر المجرات.

عبد الله بدهشة: وهل هناك محطات سفر كذلك؟ بل هل هناك مخلوقات تهمكم أكثر من بن آدم؟ لم أكن أتصور أنكم بحاجة إلى مكتب سفريات في رحاب الجنة.

الكيان: ما زلت تحمل بقايا أبناء البشر الذين لا يعرفون ماهيتهم، بل كيف جاؤوا؟ ولم يرحلون؟ لقد وصل بكم الحال أن اعتبرتم أنفسكم خيرة أهل الكون. ألا ترى أنكم تفرحون لقادم إلى دار بلاء وفناء وتولولون لراحل إلى رحمن رحيم. أليس من الأفضل أن تقيموا الأفراح لمن سيلقى رباً رحيماً. أما عن المخلوقات الأخرى فليس من شأني الحديث عنها لكن ثق بأن وجودكم متواضع في هذا الكون الفسيح لو تعلمون.

عبد الله: لم أعتقد أن الكون يحتوي مخلوقاً أكثر كمالاً من بني آدم؟ وما زلت متأكداً من أنني من بني آدم. أعترف بأنك أثرت فضولي وكي لا أبقى جاهلاً هل لك أن تخبرني عن ماهية محطات السفر؟

الكيان: صناعة محطات السفر عملية لا تنتهي. فكل محطة تبنى بمواصفات دقيقة تناسب المخلوق المزمع نقله إلى جسد مضيف على كوكب ما أو إعادته إلى هذه المحطة سالماً. بداية يجب تحضير الجسد المضيف ومن ثم إنشاء محطة استقبال للروح المزمع إرسالها. وبعد ذلك ننشىء محطة سفر هنا كي تكون منطلقاً آمناً للروح المسافرة إلى محطة الوصول، حيث يتم حجره فيها لفترة محسوبة كي تتكون طاقة الالتحام بين النفس والجسد قبل خروج الكيان المزمع إلى الحياة كي تقوم النفس بمواجهة الاختبار المنوط بها.

عبد الله: فعلاً لقد أضعتني في شرحك أيها الكيان. ألك أن تشرح لي أكثر، فأنا لم أفهم شيئاً بل زدتني حيرة بين ماهية المحطة وسر المهمة المنوطة بالنفس. بل ما دوري أنا إذا ما كنت روحاً فقط وليس كياناً بشرياً كما أذكر أنا وتنفي أنت، أليست الروح هي أهم عناصر الوجود؟

الكيان: مسكين أنت ككل الأرواح الساذجة، ما أنت إلا جهاز طاقة متطور تعمل مع النفس والجسد من أجل مهمة توكل بها النفس. النفس هي صاحبة المهمة وهي المسؤولة عن الأعمال وتنفيذها، أما الجسد فيعاد تدويره إلى صناعات أخرى. لذلك يتم إرسال النفس إلى ما بعد البرزخ

لتنتظر يوم الحساب بعد إتمام مهمتها. أما الروح فتعود إلى هنا كي نعيد تأهيلها للاستخدام مرة أخرى. محطات إعادة التأهيل لا تعد ولا تحصى مثلها مثل محطة الإرسال.

عبد الله: ها أنت تعيد نفسك وتردد ما قلته سابقاً.

الكيان: أردده كي تفهم الحقيقة.

عبد الله: كنت أعتقد أن المحطات تعد على الأصابع وأراك تجعلها عالماً قائماً بحد ذاته. كنت أنوي أن أسألك لو يمكنني مرافقتك كي أزور تلك المحطات كسياحة كما يقال على كوكب الأرض لأربط كلامك بالواقع.

الكيان: كيف ستفعل هذا وأنت سجين الحقل النوراني. سأعيدك إلى الرحم الذي كنت فيها كي تكمل مدة تطهيرك من شوائب الأرض والعقل.

عبد الله: عقل، أنت قلت عقل وما دام هناك عقل هناك تفكير وما دام هناك تفكير فأنا كيان كامل.

الكيان: ألم أقل لك إن علمك ضئيل ومغلوط. لكل من الجسد والروح والنفس عقل خاص بها قادر على التفاعل مع الطرف الآخر لتعمل سوياً. لكن العقل المدبر والمحرك لكل التصرفات إنما هي النفس وما أنت والجسد إلا عبدان لديها، تعملان لحسابها لو جاز التعبير.

عبد الله مستغرباً: كيف يكون كل هذا اللغط ونحن في الجنة؟

الكيان: أين أنت من الجنة؟ صدقني أنت في محطة التأهيل والنفس المرافقة لك خلف البرزخ. أما موضوع الجنة فلن نعرف عنه شيئاً قبل اليوم الموعود.

عبد الله: إذاً النفس التي كانت برفقتي هي في البرزخ الآن. أتراها تعذب أم في ريحان ورياحين؟

الكيان: ما هذا الجنون؟ إنها خلف البرزخ وليست به، فالبرزخ أشبه بجدار عازل بين كونين مختلفين. هي في حقل سكون مكنون تعلوه رحمة الله وتبعث الطمأنينة في كل نفس تصله حتى يوم الحساب.

عبد الله: ألم أقل لك إنك كاذب، كل ما تعلَّمناه وعرفناه هو أن الروح عندما تموت ستتعذب أو تثاب حتى يوم القيامة. ألا تعلم أن الإنسان عندما يموت ويوضع في القبر يُفتح له باب من الجنة إذا كان من أهل الخير أو كوة من النار إذا كان من أهل الشر.

الكيان: لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. فاذا ما علم الإنسان نهايته عندما يموت لماذا يحاسب إذاً. اسمع يا هذا لو دخل اثنان السجن على كوكب الأرض هل يعقل أن يقال لأحدهما أنت بريء وللآخر أنت مدان قبل المحاكمة. فيكون الأول منعماً مطمئناً والآخر نكداً ومضطربا لوقت طويل. ما معنى المحاكمة بعد ذلك؟

يا هذا كل البشر تنزع أرواحهم بنفس الطريقة بعيداً عن كيفية الموت. وكل الأنفس تذهب إلى البرزخ آمنة مطمئنة في انتظار يوم المعاد حيث تُجزى كل نفس عما فعلت. يا هذا حتى الأنفس لا تعرف قيمة الثواب والعقاب لأي فعل فعلته فرُبَّ عمل خير تراه النفس تافهاً يدخلها الجنة ورُبَّ عمل قبيح تراه النفس هفوة طارئة تودي بصاحبها إلى النار. لا تحاسب الأعمال كما يراها بشري بل كما يرى الرحمن صداها وتأثيرها وصدقها. والأهم من هذا وذاك رحمة الله وسعت كل شيء.

عبد الله: إذاً، ما مصير الميت الذي يسكن حتفه لمئات السنين منتظراً؟ ألن يكون في نعيم أو جحيم، ثواباً أو عقاباً.

الكيان: كأنك لم تسمع قول الرحمن لمن أماته الله مئة عام: ‘‘أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم. قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير’’ .

لم يعد عبد الله قادراً على الاستيعاب فالصدمات كثيرة بحقائقها. أخذ نفساً عميقاً في عادة اكتسبها من كوكب الأرض، حيث لا هواء في محطة التأهيل وقال: أيها الكيان الغريب ربما تكون ملاكاً أو منافقاً، لا أدري. لكنك تملك قوى خفية كبلتني. أرجوك أن تعطيني وقتاً أستجمع فيه أفكاري على أن أراك بعد ذلك لأستعلم عن حالي.

الكيان: وبماذا سيفيدك هذا طالما أنك لن تذكر شيئاً بعد برهة.

عبد الله: ألم تقل إنني فضولي كسكان كوكب الأرض. لذلك لا تحرمني هذا الطلب فأنتم تستجيبون لكل رغباتي حتى إتمام مرحلة إعادة التأهيل.

استغرب الكيان مقولة عبد الله لكنه استجاب لرغبته وقال: ها هنا لا نبخسك شيئاً من حقك، لك ما طلبت. سآتي بك غداً ونكمل الحوار.

جلس عبد الله في مكان ما يشع بالنور شحيذ الذهن، بالرغم من فقدانه بعض الذاكرة في محاولة لفهم كينونته .هل هو فعلاً روح فقط أم مزيج مع نفس وجسد كما عرف طيلة وجوده الذي يتذكر، أم أنه كان عاملاً تحت إمرة نفس كان يعدها جزءاً منه قبل أن يثير هذا الكيان تساؤلاته في مقولة لم يؤمن بها بعد؟ أخذ يتذكر ما قرأ عن الروح والنفس ورباطهما المزمع. تذكر بأن البشر دائماً ما يقولون ‘‘خرجت روحه’’، ‘‘انتقلت روحه إلى ربها’’ وعندما كان يسمع ‘‘انتقل فلان إلى الرفيق الأعلى’’ كان يدرك تماماً أن الشخص قد فارق الحياة، ولن يفارقها حتى تخرج روحه. إذاً أين أنا كروح فقط؟ بل هل أنا وحيد الآن بلا نفس؟ إذاً إلى أين غادرت نفسي دون وداع؟ ربما أنا من غادر ولم أودعها. سكن قليلاً ثم أخذ يشحذ بقايا ذاكرته مسترجعاً بعض آيات القرآن الكريم من قول الله عز وجل : ‘‘**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**» .

ياه أين أنا إذاً؟

ثم تذكّر: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»، و»كل نفس ذائقة الموت».

ثم تذكّر «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا».

سكّن عبد الله إلى ذاته وهو مصدوم من حقيقة لم يكن قد أعطاها حقها من التفكير فيما مضى. إذا كانت النفس هي المخاطَبة فمن أكون؟ وإذا ما رحلت النفس بدوني كيف لم ألاحظ ذلك؟ أقُبض علينا في وقت واحد أم أنا وحيد الآن مع أنني لم أشعر بالوحدة قبل أن يكلمني ذاك الكيان؟

فجأة تجمعت خيوط من ذاكرته ففك رموزها مستعيناً بكل ما يملك من ذكاء، فتذكّر آخر مشهد على كوكب الأرض، مشهد بقيت آثاره رغم عملية ‘‘التنظيف’’ التي خضع لها. تذكر جسداً يوارى في الثرى فتمحَّصه وأدركه فخاطب نفسه: نعم لقد غادرت جسدي ورأيته يوارى تحت التراب دون تعابير أذكرها. أتراهم في مركز التّأهيل ألغوا مشاعري؟ ألم أذرف دمعة أو أكبت بسمة؟ آه، آه.. تذكّرت رؤيتي لهوام تزحف من باطن الأرض نحو جسدي دون أن يحرِّك ساكناً،

دون أن يقفز من مكانه خائفاً أو ضارباً بيده تلك الكائنات الصغيرة، وقد كان يفترس ما هب ودب. أتراه كان عاجزاً عن الحركة أم إنّني خذلته فلم يكن لديه طاقة إذا ما كنت أنا الروح فقط. لو كنت أنا من غادر الجسد فلا بد أن تكون النفس باقية هناك. يا للرعب والخوف الذي يعتريها عندما تصرخ خائفة وتطلب من الجسد عوناً ولا يجيب، لأنه ما عاد يمتلك روحاً تمده بالطاقة لتحقيق أوامر النفس. آه، أوامر النفس ذلك ما أفتقده، ذاك الجزء مني الذي كان يأمرني فأطيع لم يعد موجوداً. أكنت غبياً ساذجاً لدرجة اعتقدت معها بأن عقلي المتواضع يصدرها. ها أنا هنا لم أفعل شيئاً. فمنذ أن جئت هنا لم أشعر بمطالب خير أو شر، فها أنا أهيم على سليقتي لا أطلب شيئاً ولا أسعى إليه. هل هذا هو ما قصده ذلك الكيان أم إنني أعيش على وهم زرعه ذلك الكيان. لا يهم الآن ربما يعود غداً كما وعد ليفتح أمامي أبواباً أخرى من الحقيقة.

أخذ نفساً افتراضياً آخر وفكر في الاستلقاء على فراش من ماء فوجده أمامه كما تصور. قال في نفسه لا بد أن تكون هذه الجنة، وما ذاك الكيان إلا مجنون. مجنون!! أيعقل أن تضم الجنة في رحابها مجانين؟ ربما، فالمجانين لا يدخلون النار على ما أعلم. لكن مهلاً، ألا يتساوى أهل الجنة عقلاً وجمالاً... إذاً ما هو ذاك الكيان؟ هل هو فعلاً يعمل في محطة التأهيل هذه؟

توقف عن التفكير وخلد إلى سكون يشبه النوم، فخبت أفكاره واختفت الألوان.

في يوم آخر من عداد ذاك البعد، سمع صوتاً من حيث لا يدري يقول له أأنت جاهز لاستكمال الحديث قبل دخولك رحم المحطة؟

نعم أنا جاهز... أريد الحقيقة.

كان الكيان أكثر إشعاعاً من الأمس، وبدا أكثر جدية حين قال: اليوم سأعود إلى المحطة لأتأكد من عدم وجود أي خلل يا عبد الله حتى لا نُصاب بغيرك. كان يجب أن تعود بالأمس لكنني وعدتك أن أجيب عن أسئلتك قبل أن تصبح معرفتك في طي العدم.

عبد الله: لا أعرف إن كان عليَّ أن أشكرك أم لا، فأنت على أهبة تدميري، لكن عليَّ أن أفهم، فقد تكمن المعرفة في عمق مجهول من ذاكرتي لن تستطيع الوصول إليه. فإذا ما كنت أنا الروح ففي كياني بعض من الله، ألم ينفخ الله من روحه في آدم روحاً توزعت على ذريته؟ لذلك لا يمكنك تدميري ولا يمكنك مسح كل شيء بل أنت تخفيه بطريقة لا أجدها مشروعة.

الكيان: مهلاً يا عبد الله، أناديك عبد الله لأنك كنت في آخر زيارة على كوكب الأرض ولو جئت من بعد آخر لاختلفت التسمية، ولكن بعد تطهيرك وإعادة تأهليك سأناديك بالروح يتبعها رقمك المسجل منذ بدء التكوين. عليك أن تفهم أنك طاقة صافية لا تنضب لأنها من روح الله. لكنها تحتاج إلى صيانة من شوائب الكوكب الذي كنت تخدم فيه. أنت يا عبد الله في محطة التأهيل، هل تفهم؟

عبد الله: إذا كان كل هذا محطة تأهيل كما تقول فكيف أعيش في نعيم وتستجاب طلباتي.

الكيان: يا هذا أنت في ضيافة الرحمن حتى تُبتعث في مهمة أخرى، فما بالك وأنت روح وبك من روح الله ذرة كما قلت بذاتك. ليتك تتذكر أنك جئت إلينا آلاف المرات من قبل وأعدنا برمجتك وتأهيلك من دون مشكلات. شيء غريب حصل هذه المرة. فعلاً كخروج الأجنة خُدَّجاً من الأرحام على كوكب الأرض. لو تخبرني عن رحلتك في طريق العودة قد أستطيع أن أفهم الخلل. أعني مشاعرك تجاه الرحلة.

عبد الله: لا أدري عن أي مشاعر تتكلم ولم أسافر عبر محطتكم قط.

الكيان: أعني رحلة ولادتك وموتك في جسد بشري. هل فهمت سؤالي؟

عبد الله: آه، بصراحة عندما ولدت كنت رضيعاً ولا أذكر كيف وصلت إلى كوكب الأرض كما تقول، ولا أدري من أين أتيت بل لا أذكر قصة السفر قط. أما رحلة الموت فلم أكن مدركاً لها حتى كلمتني بالأمس فشحذت ذهني وذاكرتي فتذكرت رعباً. كان الحديث عن الموت مرعباً قبل حدوثه وما إن أزفت الساعة حتى كنت منبهراً -كما تذكرت بالأمس- خائفاً من المجهول فارتجت كل حواسي وذهبت في سبات لم يهدأ روعه قط حتى اللحظة. لم أدرِ أنني جئت وحيداً من جسدي ونفسي إلا منك.

الكيان: لا بأس، لا بأس.

عبد الله: إذاً، أخبرني عن محطات الإرسال كي تُشفي فضول إعادة برمجتي.

الكيان: ببساطة المحطات نوعان، محطات إرسال ومحطات استقبال لأرواح البشر أمثالك وكيانات أخرى مترامية عبر المجرات. لدينا هنا محطة استقبال ومحطة إرسال. وفي الكواكب كافة محطات استقبال خاصة تصنَّع لك فرد على حدة. أما عودة الروح من الأرض فنحن نتولى أمرها عن طريق محطة الوصول المركزية.

عبد الله: وأين هي هذه المحطات، اشرح لي من فضلك.

الكيان: أستغرب منكم معشر البشر، تقضون سنوات بل قروناً في بناء المحطات لاستكشاف كل ما حولكم من أرض وأدغال وحيوانات، بل أهدرتم وقتاً ثميناً من وجودكم وطاقة لا تقدَّر بثمن لاستكشاف الأرض والسماء ولم تسعوا حثيثاً لاستكشاف ماهية وجودكم. لم تسعوا لمعرفة من أين أتيتم وكيف؟ لم تسعوا لمعرفة وسائل نقلكم؟ ألم تتعلموا من قول الرحمن ‘‘وفي أنفسهم أفلا يتفكرون’’.

عبد الله: كلما تحدثت إليك زدتني جهلاً، يا سيدي سألتك سؤالاً بسيطاً عن تلك المحطات. دعني أسألك بطريقة أخرى ما هي محطة الإرسال الأولى؟ وكيف تعمل على إيصالنا إلى كوكب الأرض؟

الكيان: لا عليك، لن أتكلم إلَّا على قدر علمك. عندما خلق الله عز وجل كل الأرواح وضع لها ترتيباً في وصولها وعودتها من مهمة توكل إليها في مكان ما. ترتيب لا يعلمه إلا هو. وعندما تصل الأوامر بلائحة الأسماء وتوقيت سفرها إلى محطاتها نعمل على تطبيق الأمر بدقة متناهية.

عبد الله: عدنا للألغاز، أية محطات.

الكيان: الروح الموجودة لدينا تحتاج إلى مضيف يستقبلها والنفس معاً لتتأقلم وتتهيأ للخروج إلى العالم كياناً واحداً لإتمام مهمة النفس. لذلك كان لا بد من إقامة محطة لاستقباله والنفس معاً وتهيئة كيانه ليواجه الكوكب الذي يصل. هذا المضيف يحتاج إلى بناء وتغذية والتعود على طبيعة الكوكب الذي يُرسل إليه. لذلك يتم تجهيز رحم المرأة ليكون محطة الاستقبال بعد بدء بناء الجسد البشري المضيف. الرحم هو القاعدة ومحطة وصول النفس والروح معاً، وعندما تحين الساعة ويكون الرحم جاهزاً بجسد كائن جديد تسمونه جنيناً تأتي الأوامر أن نوصل الروح إلى مستقرها في جسم الجنين مع النفس بوقت واحد. بعد ذلك تعرف كيفية الخروج إلى الحياة من جسم مضيف اسمه أنثى في قاموس البشر. لكن أحياناً تأتي الأوامر بإلغاء الرحلة وتدمير محطة الوصول فتصاب المرأة بخلل ما فتجهض المرأة محطة الوصول.

عبد الله: إذاً عندما ترسلون روحاً ما لا بد أن تعرفوا تاريخ العودة.

الكيان: هذا هو المنطق البشري. أما هنا فنحن نعلم فقط ساعة الانطلاق فور وجوب حدوثها.

عبد الله: أراك تتكلَّم بتقنية بحتة ولا تعرف ما نمر به.

الكيان: أجبتك ببساطة توازي ادراكك. لكنك لم تجبني على سؤالي بعد؟

عبد الله: كنت مأخوذاً بما تقول فأخذني الوجل. نحن نُقتلع فجأة من مكان غريب، في ظرف مريب، لم نكن نحسب له حساباً مع علمنا بحدوثه على حين غرة. لذلك تأخذنا الرهبة للسفر بلا زاد أو أمتعه، دون وداع للجسم المضيف. وبينما نتسلَّق كبسولة الرحيل غصباً ورهباً يأخذنا الخوف والرعب من المجهول فلا نعرف التفاصيل حتى نجد أنفسنا في بُعد آخر. تأخذنا رهبة أعتى من المقدر، بينما نرى من البعيد جسماً استضافنا وأحببناه يتلاشى إلى الفناء تتسابق إليه الديدان فيبدو مقيتاً بلا حياة. تمر بنا الأيام بل الأزمان تباعاً حتى يهدأ الروع وتسكن الروح إلى سكينة. لذلك أيها الكيان لا أذكر إلا الرهبة من المجهول ولا أعرف ما هي محطات الوصول.

الكيان: إذاً كنت خائفاً لحظة الموت.

عبد الله: يا هذا إن ما نكتسبه من معرفة على كوكب الأرض عبر الحضارات يهيء لنا أرضية من الخوف أو الرضى حول الموت فتتصرف كل روح حسب ما اكتسبت.

الكيان: هنا في محطات الوصول تستقبلكم أرحام لها أوقات محددة للبناء والجهوزية كما يحصل للرحم بالضبط.

قاطعه عبد الله قائلاً: أتعني بأن لنا أباً وأماً ها هنا كما على الأرض؟ لكنني لم أتعرف عليهما.

الملاك: لا أيها البشري السابق، التشبيه إن هو إلا ترميز للفكرة فقط. رحم المرأة تألف من مكونات الأرض حتى تندمج فيه الروح رويداً رويداً وتصبح جاهزة للعمل على سطح الأرض. أما عن الأب والأمّ هناك فذلك من طبيعة الخلق هناك، وقد تجد نفسك في كوكب آخر دون رباط أسري. أما هنا فكل شيء من مواد نورانية وهيولية لذلك فمحطة الوصول هنا مصنوعة من نور وما لا تعرف من مادة. لذلك ترى أنفساً ما خلف البرزخ لا تحتاج أماً أو أباً، حيث تخرج النّفس إلى الكون نقية دون رباط أو صلة تشدها إلى ذي رحم فتسطيع الرّوح الانتقال إلى مهمة أخرى دون اعتراض مشاعر أو لهفة ذكريات. الأرحام هنا ما هي إلا بذور في جعبة ملاك لها علامة ورقم من دون اسم، يأتيه الأمر بوضعها في سر مكنون يرعاه ملاك ما حتى يصبح جاهزاً لاستقبال الروح القادمة ساعة الطلب.

وبعد ذلك، قال عبد الله.

الملاك: وفور بلوغ الرحم أشده تصدر الأوامر إلى ملاك الموت ليقبض روح شخص ما ويأتي بها. وفور الوصول تبقى الروح في رحم محطة التأهيل ردحاً من الزمن حتى تستقر بها الأمور وتتغذى من رحم عالمنا نوراً فتنضج وتخرج مولوداً نقياً. أما النفس فكما أسلفت تساق إلى عالم ما بعد البرزخ.

عبد الله: وهل كل الأرواح على نمط واحد؟

الملاك: أستطيع أن أخبرك بأن الأرواح أنواع وأشكال، بعضها طويل الأجل وبعضها قصير. بعضها نوعية مميزة لا تنضب من الطاقة وبعضها ينضب من الطاقة بسرعة. كل كيان وكل كوكب وكل ذي روح يحتاج إلى نوع معيَّن من الأرواح.

عبد الله: أتعني أنني أنتمي إلى فصيلة معيَّنة من الأرواح كما أنني لست مسؤولاً عن جرائم البشر وخيراتهم خلال وجودي على كوكب الأرض.

الكيان: بالضبط، فما كنت تقوم به ما هو إلا أمر شريكتك نفس التي كنت والجسد تابعين تنفذان أوامرها.

عبد الله: إذاً كيف يموت البعض ومن ثم يعود إلى الحياة.

الملاك: أحياناً تصاب المخلوقات بآفة فتسكت الجوارح وتهرب الروح خوفاً خارج الجسد بإمرة نفس مذبذبة، لكنها لا تجد من يفك أسرها لأن رحم استقبالها غير جاهز ووقت عودتها لم يحن بعد فتعود مضطرة للعيش تحت أي ظرف كان لأن وجودها خارج الجسد يفتك بكينونتها.

عبد الله: وماذا عن القتلى؟ الذين يصابون بمقتل وليس لهم أرحام على الجدول. بل ماذا يحصل عند الكوارث والموت الجماعي.

الملاك: الله بعلمه ومعرفته يدرك ذلك فيهيىء الأرحام لاستقبالها قبل حدوث الكارثة. أليس هو العليم بكل شيء سابق ولاحق؟ نعم يعلم ذلك، وهو نتيجة اختيارات النفس وليس مقدراً. وكما تعلم لا يحصل شيء من دون إرادته.

عبد الله: لا أفهم، أعني هل لك بالإسهاب.

الملاك: لن تفهم يا صديقي، فقدرة الخالق على معرفة الأمور لعلمه بمخلوقاته يجعله قادراً على التحكم والاستعداد الدائمين لأي شيء. في عالم الخلق لا يوجد ماضٍ وحاضر. كل شيء واضح

جلي للرحمن عبر الأزل. فلا تكترث بما لن تفهم.

عبد الله: لن أفهم ما تريدني أن أفهم، ولكنني فهمت ما أريد... ألا أعدتني حيث تريد. لكن أعطني فرصة تفكير واحدة لبعض الوقت كي أراجع ما أفهم.

الكيان: لديك من الوقت كالذي سلف وبعدها ستجد نفسك في رحم غير قادر على التفكير حتى تنضج.

وبعد ردح من الزمن وجد عبد الله نفسه في رحاب جنة لم يحلم بها، أخذ يسير بجسده الهيولي متمايلاً مع شعاع النور كما كان يتمايل على شاطئ البحر وحيداً يوم يصاب بحزن. إذاً أنا روح بلا جسد، بلا نفس. لكنني عشقت نفسي وجسدي، ولي ذكريات لا أريدها أن تفنى. كم من حياة عشت كما قال الكيان وكم من مرة مسحت ذاكرتي. كم من كوكب زرت بل كيف هي الحيوات التي حييتها. أكنت في كوكب من صقيع أم من نور. هل كنت على كوكب أيامه سنوات أم في جرثومة لا تدرك سر الحياة... أكنت حيواناً في مكان أم إلهاً في عالم وثني؟ كيف لا أذكر... كيف لا أذكر؟

هذه المرة لن أنسى، لن أخضع بسهولة وأترك حياتي كبشر تذهب هباء منثوراً. ألم أكره وأحب ألم أعطِ وأسرق وأعمل؟ ألم تمرّ بي دورة الحياة كاملة فكنت طفلاً وأخاً وأباً وحبيباً، طالباً ومربياً، صديقاً وعدواً... ألم أشرب العصائر والمسكرات كما أتممت الصلوات والموبقات. إنه مزيج فريد صنع وجودي مع النفس أو بدونها... لا أشعر بأنّها غادرتني ولا أشعر بأنني وحيد، ذكرياتي لن تفنى بل ستبقى في حيز مكنون من أعماقي، حيز لن تصله أشعة ذاك الكيان.

عادت الرّوح إلى رحمها راضية مرضية وأتمت فترة التّأهيل. وبعد ردح من الزمن مر الملاك مستكشفاً فرأى تلك الرّوح مرحة تقفز من مكان إلى آخر بسعادة الأطفال. نظرت إليه الروح ببراءة الرّوح النّقية وقالت في سرها: لم أنسَ بأنني بشر ولن أبوح بسري.

ضاء الكيان محدّثاً نفسه: تمّت إعادة التّأهيل بنجاح.

القيصر

أوّل المستقبلين صفعه على قفاه صفعة استعر لها جلده وطار معها لبه. إنّها عادات البشر في استقبال مواليدهم الجدد وكأنّما يلقحونهم ضد داء العدوانيّة ووباء الكراهية الذي ينعم به أهل الأرض. فلسفة صفعة الولادة إنذار يدوم مدى العمر رغم إخفائها تحت شعارات طبية وإنسانية. أما الحقيقة المتوارية، تلك التي يخفيها البشر حتى عن أنفسهم تبدأ من الأبوين. فالأم تفرح لتخلصها من حمل لا يطاق، والأب سيفرح بعودة زوجه إلى قوامها الرشيق بكل ميزاته. يقيمون الحفل احتفاءً بمولود جديد ويسرفون في إظهار حبهم أمام البشر، بل يكذبون على أنفسهم حتى يصدقوا مزايا الأبوة والأمومة. وبعد سنوات الكذب يدق الصدق باب قلوبهم فيرتعشون خوفاً ويطمرون هذه الذّلة في أعماقهم حتى لا تكون وصمة عار. يبلغ المولود أشده ويدير لهم ظهره فيقولون "لعن الله من كان السّبب".

رحلته كانت سريعة على غير العادة فقد وصل بعد سبعة أشهر من تركيب أعضائه على متن رحم أمّه سفينة مضمونة الوصول أغلب الأحيان. قليل من يعلم تلك الحقيقة وقليل من يتذكّر كيف جاء ولِمَ جاء. خرج الى الوجود بعملية قيصرية تتويجاً لعظمته وتمجيداً لعريق نسله.

كانت عناية الأم، صاحبة الرحم الذي وُلد منها، عناية عامرة بالحب والمودة دون كلل. وبعد أقل من شهر وكَّلَت امرأة غريبة، كل ما فيها مختلف حتى حنانها لو وُجد أن تهتم بأمره. تعوَّد عليها كما تعود أن يرى أمّه عند المساء باسمة كأنما شيء لم يحدث فظنها أمه الثانية. لم يطل الأمر كثيراً حتى غادرت هذه الأمّ الجديدة لتحل محلها أمّ ثالثة. الأولى كما سمع جاءت من شرق آسيا وهذه من أواسط إفريقيا. عانى كثيراً من تفاوت الحُب والعناية، بعضها للأفضل وبعضها للأسوأ. والأم الأصل تعود في المساء متأخرة تنظر إليه باسمة، توده ببعض الكلمات من دون أن تسمع ملاحظاته، من دون أن تكترث لنظراته الكئيبة التي كانت تعزوها لجوعه الذي لم يكن. كانت تطعمه باستمرار

حتى يتقيأ ومن ثم تتركه بين يدي الخادمة ليسكن. حنان الأمّ الرابعة، بل الخادمة الثالثة كان جياشاً فبدت ابتساماته ذات مغزى في العام الثاني. كانت أفضل أوقاته يوم تذهب صاحبة الرحم خارج البيت وتبدأ الخادمة الرابعة بمحادثته بلغة جديدة لم تكن لغة أي ممن سبقها. في البداية كان صعباً عليه التأقلم مع التغيير لكنه استفاق من هذيانه في عامه الرابع ومع قدوم الخادم رقم.... آه لا يذكر كم تعلق بهذه وتلك. قرر ألَّا يتعلق بأحد بعد اليوم وتذكر أنه لو لم يكن مهماً لما جاء بعملية قيصرية سريعة ولما تراكض الناس لخدمته. بل لو لم يكن مهماً جداً لما تركته صاحبة الرحم لتجنى المال وتشتري له كلّ شيء.

القيصر وحده الذي يبقى، أما الباقون فما هم إلا خدم لجلالتي. وتلك التي أرقتني بحملي ما كانت إلا وعاء سفر عليه أن يتلاشى ويندثر. الحقيقة أنها بشر آفلة أفول الخدم بل أكثر كذباً ونفاقاً. على الأقل هم يعترفون بأنهم ما خدموني حباً وعطفاً بل لنيل نصيبهم من المال. أمّا هي فتكذب وتكذب لتبرر حملها ووجودي في كنفها. ليتها تدري معنى صادقاً لوجودي. طالما أرقتني بما تقدّمه وتشتريه لي وكم أرادتني أن أفتخر بمشتريات لا أريدها ولا أقيم لها وزناً. لكن أرقي زال عندما تجلّت الحقيقة بأن ما أحوز عليه إن هو إلا فتات، فهناك في هذا العالم الكثير مما يشغلها عني. العمل، مستلزمات الجمال، السّهرات الباذخة والتافهة كما النّميمة والتلفاز وآخر الصّرعات في عالم المادة المتسارع في سرقة أتعابها ووقتها وتفكيرها. زوجها، أعني أبي لم ينل منها حظاً أوفر. كم كانت وأبي يدعيان بأنني الأهم والأثمن في حياتهم ادعاء كاذباً. فهما يتركانني برعاية سيدة غريبة، بخلقها وأخلاقها عما يريدانني، يتركانني بين يديها تشكّل كياني حيناً بإخلاص، وأحياناً كثيرة بتحقير وكذب. ولكنهما، والديَّ، يتأكدان قبل خروجهما بأن أشياءهم الثمينة محفوظة في مكان آمن من خزنة مخفية كي لا تسرقها تلك الغريبة. أما أنا فلست بتلك الأهمية.

لذلك قرّرت ألاَّ أهتم بعد اليوم بأمي وخدمي ولن أعطيهم مشاعري أو اهتمامي. نعم أنا في العاشرة الآن ولا أحد يخدمني مجاناً. صاحبة الرحم، أمي لا تفهم بأن سعادتي تكمن في استمرارية الحب وسماع نبضات القلب نفسها لتتآخى مع كياني. سعادتي أن أنظر إلى وجهها ملياً عند الصباح وقبل أن أغفو. أريد استمرارية الحب والحنان لأدرك معاني المشاعر وأفهم همسها دون عناء أو تكلف. كلما تعودت على إيقاع قلب ما وبدأت كتابة سيمفونية حياتي على صفحة قلبي تفاجئني بطرد من وهبته مشاعري لتأتيني بسيدة شكلها مختلف، قلبها مختلف بل حتى صفعاتها مختلفة. بل هي نفسها تختلف كل يوم، تختلف باختلاف مزاجها. لا أعرف كيف تختلف مشاعر بعض البشر فيحبون مَنْ يكرهون ويكرهون مَنْ يحبون بل يحبون ويكرهون في آنٍ... هكذا تعلمت وهكذا يجدر بي أن أكون.

لا أعرف لماذا تريد هذه السيدة وغيرها أطفالاً من دون الالتزام باتفاقية الأمومة المنصوص عليها على صفحة القدر... لماذا يدعين الله أن يستجيب لهن إذا لم يكن بإمكانهن التقيد بقدسية الأمومة والبقاء إلى جانب وليدها تعلمه الحُب والحنان وتعطيه أمان القلب والمشاعر. لماذا على مولودها أن ينطق أولى كلماته أمام الخادم؟ بل أليس من العدل أن يكون له رأي في موضوع الخدم وهو القيصر القادم من البعيد.

نعم أنا القيصر، لن أهتمّ بأحد ولن أعير هؤلاء الأغبياء أي نوع من الاكتراث، بل سآخذ منهم ما أقدر حتى أستطيع الاستغناء عنهم، وأرحل بقلبي ومداركي من قلب إلى قلب أنهل منه لذّتي، ثم أتركه يتعذب كما عانيت.

ليتني كنت أعلم بأنّ أهل الأرض على قدر كبير من الكذب والنّفاق قبل الولوج رحم تلك المرأة.

اللونُ الثامنُ

تواترت الأخبار وتسلّلت الأسرار من باطن الربيع بأن الطّيف يخفي لوناً جديداً، وبأنه سيكون اللون الثّامن في ألوان الطيف. وتسربت أنباء مخيفة بأنّه سيحلّ مكان لون أساسي ما أخاف الألوان التي تآخت منذ الأزل. أمّا الألوان الأساسية الأحمر والأصفر والأزرق فقد أصابها أرق لا ينتهي بهتت معه ألوانها.

تفاجأ الجميع بأنّ الطّيف يخفي أخباراً كهذه ويحتضن لوناً غير معروف. أتراه جاء به من بعد آخر؟ أم كان سره منذ الأزل؟ أنه يخفيه عن الأعين إخفاء مريب ويُـحَدِّث عنه حديث عظيم مجيد.

خافت ألوان الطيف السبعة كما خاف راعيها الأزلي المنشور المـتجلي في قوس قزح. من هو هذا اللّون الجديد، اللون الثامن؟

أدرك الطّيف ما تواترت به الأخبار عن حنق الألوان وشحوبها. عن خوفها وقلقها فأقام حفلاً دعا إليه كل الأزهار والعصافير، كما الشّجر وكل من توشى بلون أو أصابه الطيف من لونه بِطَلْ. طلب منهم الصفاء والنقاء بألوانهم للتعرف بمن خبر وحقيقته ستر. وفي الحفل الغريب فاحت الأزهار بعطرها وتجلت بقزح ألوانها على أنغام العصافير التي ازدانت بألوان ريش زاهية. وقف المنشور مشدوهاً منبهراً من لون جديد ما كان منتظراً. هو لم يره بعد مع حرصه على لقياه. من أين سيأتي لون جديد وكيف سيجد له مكاناً في تسلسل الطيف؟ إنها مأساة قد تؤدي إلى ثورة في عالم الألوان. نعم أليس لكل لون جماهير وحلفاء. ألم يندمج الأزرق والأصفر ليخرجا اللون الأخضر... ألم يتحالف الأحمر والأصفر لاستحداث اللون البرتقالي. من سيقنع ملايين الألوان بالقادم الجديد. أصبح الخوف من ثورة على الطيف فتسقط مملكة الألوان لنعيش في تدرجات السواد خوفاً مؤرقاً. وكان السؤال الصادم: هل سيكون لوناً أساسياً أم مدمجاً هجيناً؟

لم تستمر حالة الأرق عند المنشور حتى أطل الطيف بضيفه الذي يرتدي حلة تخفي لونه بانتظار الوقت المناسب لكي يفصح الطيف عن اللون الجديد ويعطيه اسماً ومكاناً في ترتيب الطّيف والمنشور.

دعا الطّيف اللون الأحمر سيد الألوان ليصافح الضيف. اقترب الأحمر بزهوه يكتنفه احتقار للقادم الجديد «بكلّ تأكيد سأضعه خلف اللون البنفسجي» أو ربما «أرميه في غيابات الألوان الكريهة» هكذا قال قبل أن تلتقي اليدان. عندها أصاب الألوان الباقية دوار، ترافق مع صدمة وانبهار الحضور بما حل باللون الأحمر، بعد أن عاد إليه السر المحفوظ. إنه يتحوَّل إلى شيء آخر، تتساقط عنه أغشية وأقنعة. بدأ الصياح من كل حدب وصوب:

- «يا للعار، لقد بانت حقيقتك أنت الأحمر الفاقع الذي اتخذ الحب والحرية رمزاً».

- «لا، لا لونك لون الدماء المسفوكة في حروب همجية، بل قتل ووحشية».

-»لا، لا أيها الكاذب صرخ اللون البرتقالي .... خذوا مني اللون الأحمر، لا أريد سفاحاً في دمائي»...

ازداد الهرج والمرج موحياً بمصيبة تداركها الطيف وأخفى اللون الحمر وأدخل اللون الأزرق إلى المنصة علَّه ينقذ الموقف.

جاء الأزرق مسرعاً وصافح الضيف بحرارة. نظر الأزرق إلى نفسه فبهت كون حقيقته قد فُضحت في حضرة القادم الجديد. صرخت فيه السماء، وهدر البحر: أيها الكاذب ما زلت أتوشح لونك لأنّه يبعث على الطمأنينة دون أن أعلم ما تخفى في ثناياك. ما هو إلا مخدر تكذب به على المخلوقات، انظر كيف بانت حقيقتك بعدما أسدل عنك هذا اللون الجديد أقنعتك. كم أنت حاقد كم أنت والموت متشابهان. أنت الذي يخفي الموت ليتسلل إلينا من سكينتك. ربما لولاك لخلدت المخلوقات، أيها القاتل، أيها القاتل.

الموت للأزرق.. لا نريده في الطيف أو المنشور. البحر لا يريده، السماء تنبذه. اختلطت الأمور بين الألوان وخافت الطيور على ألوانها.

أخذ الجميع يتسارعون لملاقاة الساحر الجديد، بل البطل الذي أحدث زلزالاً. الكل يقترب ويقترب لمصافحة اللون الثامن...والكل يرتعش يرتعد بعد اللقاء ويصرخ "اللعنة على الضيف، إنه ساحر، ساحر لقد أماط اللثام عن مساوئي".

قفز المنشور بسرعة لينهي هذا الوضع الشّاذ وسأل القادم الجديد من أنت يا من دمّرت عالم الجمال؟ ماذا تفعل هنا؟ هل تآمرت مع الطيف على سحر الجمال؟

من أنت؟

من أنت؟

وقف الضيف قائلاً : أنا مزيج الألوان وحقيقة الزمان.

أنا سريرتكم الشفافة التي لا تقبل لوناً يستر كذبها ولا تخجل من عريها لأنها نقية شريفة.

أنا الحقيقة التي تصلون من أجل معرفتها.

جئت مستجيباً لصلواتكم. جئت لأبعدكم عن الوهم وأريكم حقيقة أنفسكم كي أعيدكم إلى حيث يجب أن تكونوا. أنا اللون الثامن، لون غير مرئي لأنني أدخل وجدانكم وأريكم ما خفي عنكم فترسمون حياتكم كما ترون الألوان لا كما تتزيف لكم.

اجتمعت الألوان السّبعة برئاسة المنشور، تداولوا الامر وقرّروا بسرعة قتل الحقيقة.

اقتلوا الحقيقة ومزقوا لونها الشفاف.

اقتلوها فلا حياة مع الحقيقة التي تبيد ألواننا فيهجرنا الواهمون المخدوعون.

بأي لون سنصبغ قناعاً يخفي حقيقة مشاعرنا؟!

كيف لا يريدنا أن نختفي بظلال الألوان؟ بل كيف سنغوي ضعاف النفوس ونطمس عيونهم عن النقاء بألوان خادعة؟

نحن السّبعة ملوك الألوان مع قوس قزح سيدنا الوقور قررنا أن نعين المنشور سيداً بدل الطيف اللعين المتآمر مع الحقيقة لإذلالنا.

اقتلوا الحقيقة .... اقتلوا الطّيف.

المشيميّ

ولدت من رحم امرأة أرضية في زمن توارى فيه الكوكب الحالم عن أرقام ساعة الزمن، بينما سطع بريق الكوكب المرقط عبر الأكوان. في ذاك الزمان تجلت الشياطين بألوانها الحارة فبدا الكون زاهياً ببزة المهرج الخائف من فحيح الأسود الأقرع.

يومها لم يقطعوا الحبل السّري لأنّهم لم يعرفوا ما هو. انتزعت المشيمية بحبلها وركضت بها خارجاً... خاف الجمع وارتعب عندما رأوني ألتهم المشيمة مع الحبل السريّ، بينما والدتي تصرخ اقطعوا الحبل السّري وأعيدوا المشيمة... التهمت المشيمة بحبلها فأطلقوا عليَّ اسم «المشيمي» توجّسوا خيفة من المولود الهجين المتمرّد، فمنعوني من الرّضاعة بعدما أخفوا والدتي في معتقل الحجر الكوني خوفاً من عدوى تصيب حوامل كوكب فيغا. نعم، تزوجت والدتي من فيغا بعد هروبها من كوكب الأرض طالبة اللجوء الإنساني. طبعاً هم لا يدركون معنى اللجوء الانساني، لأنهم ينتمون إلى سلالة أخرى من المخلوقات. لكنهم على كوكب فيغا وعلى مر العصور أثبتوا جدارتهم في إذابة أنواع الحياة الذكية بأشكالها في حميمية إصرارهم على كون يتسع للجميع. لقد أشاعوا المودة بين المجرات حتى أضحى كوكبهم صلة وصل الحضارات ومنارة السلام الكوني مما جعله ملجأ للمضطهدين والهاربين من موت محتم. والدتي هربت بعدما عمت الفوضى سطح كوكب الأرض خلال الحرب العالمية الرابعة، واتتها الفرصة في أن تركب محطة فضائية كانت تعبر كوكب الأرض في مهمة لم يفصح عن مضمونها. لم يكن في طلبها من سبب يدفع حكومة فيغا لمنحها تذكرة إيواء سوى جملة واحدة «إنّهم على كوكب الأرض يذبحون إخوانهم ويأكلونهم لسدّ رمقهم». يومها اجتمع أصحاب الرأي من كوكب فيغا وأجروا على والدتي اختبارات أقنعتهم بأنها قد تكون هدفاً لأنياب آكلي لحوم البشر من أبناء الكوكب الذين كانوا يعتبرون الإنسان حيواناً لذيذ الطّعم. منحوها غرفة في صالة انتظار المحطة الكونية ريثما يقارنون حالتها بحالة مماثلة مرت منذ عهد قصي.

ذاع صيت «المرأة اللذيذة الطعم» الهاربة من أنياب ترصد جسمها البض لتلتهمه. بدأ لصوص فيغا المنتشرون في كويكبات الحزام الغباري الذي يحيط بفيغا في نصب كمائن لها، لا ليستمتعوا بها، بل ليبيعوها لمطعم قدّم في الماضي أطباقاً بشرية تحمل نكهة المجموعة الشمسية التي يعشقها مغامرو فيغا الأثرياء. أصبحت حياة «والدتي اللذيذة الطعم» في خطر حتى قابلها شخص فيغي كان متيماً بنساء أهل الأرض كونهم يتمتعون بثديين مقارنة بنساء كوكب فيغا ذوات الثدي اليتيم. تزوجته يوم اكتمال سلسلة الأقمار في خط مستقيم، فأخذت حصانة أهل الكوكب. يومها قالت لها عابرة سبيل من كوكب مجهول «ستندمج ملامحك بملامح أهل هذا الكوكب فتنجين من أن تكوني على طبق شهي، ولن يستسيغ لحمك سكان فيغا بعد ذلك. لكنك ستلدين عصارة الشيطان».

يوم تزاوجا سطعت الأقمار وتوهجت فانطلقت الهرمونات إلى أوجها ما ضاعف فرص الحمل. كما أن شياطين فيغا تشتد حيلة وعتياً عند اكتمال أقمارها في سهم يصيب عمق النجم الأزرق. تغيرت ملامح وجهها يوم أدركت أنها حامل فاطمأنت لأنها نسيت نبوءة العرافة. زادها الحمل هدوءاً وثقة بالنفس إذ خرجت من الحجر الصحي وبدأت تتهيأ لتحصل على جنسية هذا الكوكب.

لم تعلم والدتي ولم تسأل كيف سيكون نتاج لقاء حميمي بين ذكر فيغي وأنثى أرضية قبل الحمل كونها أول حالة مسجلة.

من يدري كيف يكون؟ ألم أكن أول هجين؟

ولدت هجيناً بشعاً من خلطة الكوكبين عدا عن التمرد والوحشية الأصيلين في كياني اللذين تجليا في خطفي مشيمة ولادتي لأسدَّ رمقي، نعم أكلتها في اليوم نفسه، يوم ولدت بقدمين تنبتان من رأسي. لا تستغرب فقد مشيت على رأسي، ولي بضع أياد موزعة هنا وهناك تصنع هالة توازن، كما أن رأسي مملوء بالأعين، فأنا أرى من كل اتجاه وفي أي وقت. آكل بشراهة التراب والمعادن، كما آكل ما هب ودب. لم أترك شيئاً لم آكله أو أخربه، بينما أهل فيغا يرمونني بأسوأ ما لديهم. أخذهم الخوف والملل من وجودي حتى بدؤوا بالتظاهر لطرد الوحش وأمه. أخيراً وبعد يأس عزلوني وبنوا سداً بيني وبينهم. أصبحت مكروهاً وشعرت بعدم الرضى والقبول لوحش بريء مثلي، فأنا آكل حتى لا أجوع ولا أتوقف حتى أشبع. لكنني لم أشبع قط.

سئمت ذاك الكوكب الذي كرهني أهله فطلبت الذهاب إلى كوكب أمي. رحب أهل فيغا بالفكرة وأقاموا عيداً وطنياً سموه «يوم رحيل الوحش».

حالما وصلت كوكب الأرض، أمسكت أرضياً وقضمته، فاشمأزيت من ملوحته. بصقته كما بصقت غيره بعد ذلك. التراب والمعادن على هذا الكوكب مملوءة بالشوائب. نظرت حولي لأرى ما يأكل أبناء هذا الكوكب. ياه الوحوش تملأ المكان، الوحوش هنا مقدّسة، تقتسم الكوكب مزارع تسمى دولاً. الوحوش هنا تلتهم كل شيء، تجاوزت جشع المشيمي وجوعه المادي إلى أن أدركت أنّهم يأكلون كل شيء حتى الرّبا، والميتة والنّطيحة. لا بل ينطحون ويقتلون ثم يكتبون عليها «نطيحة» ويقدمونها على طبق من كراهية وحقد مزينة بالذل والشهوات إلى الوحش الكبير الذي يتلقفها بشراهة قبل أن توضع في طبق نهمه الأزلي. أحياناً تتمتع الوحوش الكبيرة بكرم قذر فتترك الفُتات للوحوش الصغيرة كي تلعق العظام وتنخرها. تشتم تلك الوحوش بقايا الأخ الأكبر قبل أن تحفظه في قوارير تباع للعامة بركة ورُقية تمنع الحسد وسوء الطالع.

لم أجد كوكب الأرض ملائماً لوحش بسيط مثلي جابه شعباً مسالماً في فيغا فأخافهم، كنت أرتع فيه وحشاً فريداً هجيناً بكل أمان، أنتقي طرائدي وأطباقي بكل أنفة لسدّ رمقي. أصابني اليأس والخوف فترة من الزّمن حتى هدني الجوع. قررت الفرار من الأرض إلى كوكب فيغا، لكنني أدركت أنهم لن يستقبلونني مرة أخرى مع أنّني أحمل جنسية كوكبهم.

انزويت في مكان قصي أرقب وحوش البشر وأتعلم أساليب القتل الرحيم وشرب الدّماء ببرودة الثّلج عندما التهم الأطفال بشراهة بينما أغرز أنيابي في كل بشري يعبر مزرعتي. بل تعلَّمت كيف أقيم الحروب لأستلذ بنكهات بشرية مختلفة. تعلّمت حتى أضحيت متفوقًا فتمرد شيطاني وقال أنا الأعظم. استوليت على غابة مهجورة، اصطدت بعض البشر ودخلت المعمعة فأقمت دولة حديثة متطورة تقوم على أسس واضحة صريحة من الوحشية والهمجية. الكل يعرف بأنني حيوان أليف في مزرعتي، يعيش بأمان حتى يستسيغ أحدهم قرباناً. أقمت لنفسي صرحاً يقدمون لي فيه الطاعة فوق مذبح يتشرفون بوضع رقابهم تحت مقصلتي هرباً من همجيتي وسوء رائحتي العفنة.

نعم الكلّ يعيش في سلام بين أنيابي... أصبح اسمي الزعيم الرحيم.

حرارةٌ مرتفعةٌ

أخبرني أيها الطبيب ما هي حالة ابني؟

ولدك مصاب بمرض نادر جداً يستعصي علينا معالجته.

ماذا؟ وهل يوجد مرض ليس له علاج على كوكبنا.

نعم، فهو مصاب بحرارة مرتفعة جداً وآخر الحالات التي سجلت كانت منذ أكثر منذ مائة ألف سنة.

إذاً لا بد أن يكون هنالك علاج بعد هذا الزمن الطويل، أليس كذلك؟

بصراحة ثمة علاج واحد ولكنه يستدعي اجتماع مجلس الأمن للموافقة عليه.

أتسخر مني؟ ما دخل حرارة ابني بمجلس الأمن؟ لا يجدر بك أيها الطبيب أن تسخر مني وأنا عالمة من علماء هذا الكوكب.

لا أسخر منك البتة، فحرارة ابنك أكثر مليون درجة وليس له علاج إلا الماء وهي مادة لا تتوفر على كوكب الشمس كونها لا تستحمل الحرارة بل إنها تتبخر من حرارة شمسنا من على بعد ملايين الكيلومترات. ولكي نعالج ولدك يجب علينا إرساله إلى كوكب ينعم بالماء ولا توجد هذه المادة إلا على كويكب الأرض وغطسه في وعاء المحيط كما يسمونه لتنخفض حرارته.

إذن ما المشكلة، أنا على استعداد لدفع كافة التكاليف، لا بد أن تكون أرخص من رحلاتنا إلى المجرات الأخرى فالرحلة إلى كوكب الأرض نزهة.

نعم نزهة، لكنك تعلمين بأن الرحلات إلى الكواكب الباردة المسكونة محرمة منذ أمد بعيد.

لا أفهم لماذا التعقيد، أتريد أن يموت ابني من جراء ارتفاع الحرارة والدواء على بعد خطوات من كوكبنا؟

يا سيدتي إذا وضعنا ابنك في المحيط الأرضي وهو بحرارة مليون درجة سيتبخر المحيط وسيموت أهل الأرض لأن الماء هو ركيزة حياتهم الوحيدة. في آخر الحالات المسجلة لهذا النوع من العلاج تم إرسال المريض إلى كوكب المريخ فاندثرت منه الحياة بعدما كنا قد قضينا على بضعة كواكب أُخرى يوم كان هذا المرض وبائياً. لذلك تم إصدار تشريع بوقف هذا النوع من العلاج.

ابني أهم من كوكب الأرض البدائي، هل يمكننا مقارنة أهل الشمس بحشرات كوكب الأرض الذي هو أصغر من حديقتنا النارية في جبل اللهب. سأجد وسيلة لإرساله.

لا يمكنك فعل ذلك يا سيدتي فكل الرحلات ممنوعة إلى كوكب الأرض منذ آخر حالة كما أخبرتك لما تسببه حرارتنا من تدمير لحياة هذا الكوكب فكيف وحرارة ابنك بهذا الارتفاع؟

سآخذ صاروخي الخاص الذي يقطع المجرات بأيام معدودة. لا أحتاج إذناً.

لم تتركي لي مجالاً إلا إبلاغ السلطات.

اتصل الطبيب بالمسؤولين الذين وضعوا العالمة في الحجز فيما عقدت دورة طارئة لمجلس أمن كوكب الشمس للبت في الأمر، بينما أهل الأرض يفتكون ببعضهم بعضاً.

حكايةٌ من كوكبِ زُحلٍ

قال رجل من كوكب زُحل ذات مساء لزوجه: كم أرى وجهك حالماً كقمر دافنيس، وعينيك برَّاقتين كقمر أطلس، أما شفتاك فتضاهيان قمر بروميثيوس سحراً. يا لخديك اللتين تنافس حلقات كوكبنا إثارة وغرابة، كما أرى جسمك يضج برونق الأقمار الباقية غموضاً غجرياً يشدني في كل لحظة أن أستكشفه من جديد.

ضحكت الزُّحلية وقالت: كم أشعر بالأسى لنساء الأرض فقد استهلك رجالهم أحرف الأبجدية شعراً ونثراً في وصفهن وتشبيههن بقمر واحد لم تتغير ملامحه عبر العصور.

بين القُبلةِ والشوكولا

صبيَّة جميلة أنيقة، تجلس على مقعد في أحد المتنزهات تلتهم لوحاً من الشوكولاَ بشراهة. تقدَّم لها شاب وسيم غريب عنها كان بجوارها وقال: مَنْ لا يعرف كيف يستلذ بطعم الشوكولاَ فلن يستشعر لذة القُبلة.

نظرت إليه شذراً وقالت بينما تقوم من مقامها: بعض الغرباء وقحون.

لا تحزني يا سيدتي، ما هي إلا نصيحة عابرة قد تغير مجرى حياتك.

انتهينا يا هذا... سارت خطوتين للأمام ثم تراجعت قليلاً وقالت: لكن مهلاً، ما دخل الشوكولاَ بالقُبلة، بل كيف ستغيِّر حياتي؟

ضحك الرجل وقال: أنت تلتهمين الشوكولاَ ولا تستمتعين بطعمها كما لو كنت تقبِّلين شخصاً ما دون الغوص في مشاعره.

ضحكت وقالت: وهل للشوكولاَ مشاعر؟

قال: عندما تمسكين بلوح الشوكولاَ انظري ملياً في لونه الساحر، قرِّبيه من وجهك وخذي نفساً عميقاً يستنشق عبق الشوكولاَ ورحيق الغابة التي جاء منها محملاً بأسرار الجمال، ثم أغمضي عينيك بينما تأخذين قضمة صغيرة من لوح الشوكولاَ. دعيها تذوب في فمك رويداً رويداً، إياك ومضغها. ستشعرين بطعمها ينسل إلى حواسك فتستشعرين لذتها، دعي زلالها يخترق أحاسيس مشاعرك فتنعمين بما يثير لذة المشاعر فتتورد شفتاك وينتعش بريق خديك سعادة. وما إن تبتلعي ما ذاب من سحر الشوكولاَ حتى ترتعش مشاعرك طلباً للمزيد فتأخذين قضمة أخرى لتتسلقي سلم التذوق وتدركي بأن القبلة العابرة ما هي إلا وجبة سريعة تصيبك بعسر المشاعر.

أغمضت جفنيها وأخذت قضمة من لوح الشوكولاَ متنهدةً فيما يبتعد الرجل الى غيابات الذكرى.

كلبنة

تُفتح أبواب الوجارات* تباعاً، تزامناً مع ولادة براعم الزمن. لم يتغير هذا الترتيب منذ الأزل من أجل هدف مجهول لم تفهمه كلاب الكوكب اللاهث.

تخرج الكلاب من وجاراتها وليدة لاهثة متسارعة إلى حيث لا تدري، يسوقها ذيل أعوج لا يتوقف عند متاهة ولا يتردد عند خطر. يتسارعون لاهثين بطبع جبلوا عليه يحركهم ذيل يتراقص كبندول ساعة يقاوم آفات الزمن، ضامناً استمرارية كينونة الكلاب على ذلك الكوكب النابح.

وذات يوم مقتَطَع من رتابة عالم الكلاب تساءل كلب عن جدوى اللهثان خلف مجهول، وأهمية العبث بالهواء أهواء آفلة بذيل لم تحدد ماهيته بعد علوم بني كلب.

أجاب حكيمهم بعد تفكير: السباق شرط وجودنا حتى نصل غاية الكلاب المنشودة في مسيرة الكلاب نحو كلبنة أفضل.

سأل سائل عن أهمية الوصول قبل الآخرين، بل إلى أين المبتغى؟

رد الحكيم: لا بد أن يكون السبَّاق مفضلاً، ولا بد أن ينال جائزة ما.

ما هي الجائزة؟ سأل كلب شريد.

من يدري؟ كان المجيب يتساءل مستعجباً.

لم تتوقف الكلاب من التلويح بذيلها أو اللهثان غصباً لا اختياراً فيما بدأت موجة من التكهنات عن جدوى اللهثان وتراقص الذيل يتواتر. هل اللهثان السريع يؤدي إلى كلبنة مثالية أم يبعد صاحبه عن جائزة غير معروفة بعد؟ كذلك بدأ الجدال حول أفضلية الذيل المرتفع عن الذيل المنخفض وتباهي أصحاب الذيول الملفوفة وإيمانهم بالفوز.

الفوز بماذا؟ تردد السؤال.

قال مجتهد من بني كلب بعد تمحيص في علوم أسلافه النبَّاحين: يتنافس الكلاب للفوز بعظمة تكفي ألف كلب لألف يوم.

نبح كلب شريد بصوت متهدج: لا أهتم بجوائز المجهول، أريد عظمة صغيرة لأسكت عصافير معدتي من أرق أيامها.

طغت على نباحه الضعيف نبوءة كلب عتي بأن أسرار العلوم تقول إن الجائزة الكبرى لن تكون مجرد عظمة هائلة، بل يكتنزها اللحم من كل الحوافي.

تفتق ذهن الكلاب عن أحلام وأمانٍ تمس حياتهم اليومية فكبرى شرائح الكلاب تحلم بحياة لا تشرُّد فيها لكلب أو نباح يقضونها في جرم اللحم عن تلك العظمة الموعودة، وأخرى تحلم بسكون تتوقف فيه ذيولهم عن الحركة في فضاء لا ينبح فيه كلب. أما كسالى الكلاب فتحلم بأن تنام باكراً ولا تضطرها الظروف أن تستقصي طُرَّاق الليل أو أن تنبح في ساعة راحتها. لكن حكيم الكلاب أدرك أن الجائزة شيء عظيم لا يناله إلا من كان كلباً فاضلاً، ينبح دون إزعاج، يحرك ذيله دون إثارة غبار ولا يلهث إلا عاشقاً لكلبة تبادله الشعور نفسه. أسرف الحكيم في مواصفات الكلب المبجَّل الذي سيحظى بمزايا لا يحلم بها كلب فقال: لا بد للكلب أن يتبول رافعاً رجله اليسرى عند زاوية معينة، وأن تتناغم لهثاته مع حركة ذيله، ويجب على الكلب المنافس أن يتحلى بالأمانة فلا يسرق عظمة جاره حتى ولو كانت خاوية من اللحم، فالسرقة ذات مدلول خبيث لا تتعلق بقيمة مادية بل بشرف الكلبنة المتوارث. وما دام العمل يستدعي الاستقامة فلا بد للنهاية أن تكون مستقيمة عكس الذيل الأعوج. إنها من تناقضات عالم الكلاب الذي يحثهم على الاستقامة فيما شيطان ذيلهم ما كان مستقيماً منذ بداية وجودهم.

لا حياة إلا بالكلبنة في عالم تكالبت فيه كل المخلوقات، وللكلبنة أصول متوارثة ترضعها الكلاب من أثد أمهاتها حتى تغدو كلاباً أصيلة. فلا حياة لكلب بلا كلبنة أصيلة، لذلك أوجد العقل الكلبي الجائزة، وستكون الجائزة حسب حلم كل كلب. لا بل قد تكون الجائزة الكبرى أعظم مما يعتقد كلب ما، فصاحب السباق أكثر حكمة وأكرم باعاً مما يعتقد كلب حكيم.

ويستمر سباق لم يعلن عنه، جوائزه أحلام تهوي وترتفع مع كل ولادة وموت. جوائز أوقفت العمل من أجل حياة أفضل وسكنت إلى أحلام لا تسمن ولا تغني من جوع. لم تعلن أسماء الفائزين

قط كما لم يعلن السباق أحد ما. بل لا يدري أحد من فاز عند نهاية أي شوط، علماً بأن الأشواط تنتهي ألف مرة في اليوم كما تبدأ ألف مرة في اليوم... لم يكترث أحد من ذي قبل. الأموات لم يعودوا ولم يُسمع لهم نباح رغم أن كثيراً من سهارى الكلاب يدعي بأنه يسمع لهاث الكلاب ينساب تحت الأرض كخرير المياه الجوفية .ولتوضيح الأمر كان الكلب الحكيم قد باح بمكنون أسراره إذ قال إن السباق ينتهي بالموت. ارتعدت فرائص بعض الكلاب خوفاً واستبشر غيرهم من بني كلب برائحة عظام تتكوم تلالاً عن البعد الآخر. الكلاب المميزة الفائزة ستدخل بوابة الخلود وستتشرف بحراسة أبواب البُعد المقدس، بل ستحظى بمكان لها عند هضاب العظام الموشحة بالشحم واللحم برفقة كلبة تشبه كلبات القصور التي تصفها حكايا كلاب عتيقة الوجود... لن ينام وحيداً ذاك الكلب المميز، بل له الحق في أن ينبح أي كلبة يشاء جزاء لإخلاصه كلبنته على كوكب الأرض، هكذا قال حكيم الكلاب.

لكن الكلبات سألن عن نصيبهن إن أخلصن وفزن بالسباق... فصمت حكيم الكلاب ولم ينبح لثلاثة أيام متوالية لوقاحة الكلبات في سؤال لم يحترمن فيه أسيادهن من الذكور.

الجميع يتراكضون لاهثين، ساعين لتحقيق هدف جاء من مخيلتهم وجائزة حددوها بأنفسهم.... يستمر الركض دون تحديد خط نهاية. حركة الذيل لا تغير من الواقع شيئاً لكنها تساعد على الشعور بالرضا عن كلبنة كل فرد.

وما زالت الكلاب تركض، تلهث وتلهث واقفة وراكضة. لم يسأل كلب كلباً لمَ لا تنبح، لمَ لا تأكل؟ لكنه قد يسأله لمَ لا تلهث؟ لمَ لا تحرك ذيلك؟ يعتذر عن تقصيره في اللهث ويبدأ من جديد. ينتهي سباق كل كلب وكلبة دون إنذار، ولا يشعر بهم أحد.

لا وقت للسؤال فاللهثان والنباح سمة الكلاب.

بل السؤال لا يجدي فلم يعد إلى السباق كلب قد أُخرج منه.

من فتح الباب؟

من أخرجه من السباق؟

من يهتم؟ يصرخ كلب فضولي بكل هذه الأسئلة.

يجيبه الحكيم: لا تشغل نفسك بأحد، اركض والهث ولا تتوقف عن تحريك ذيلك. ولا تنبح إلا لسبب. فلن يفيدك إلا إخلاصك في اللهث والنباح ... ولا تحرك ذيلك إلا كما رسم لك.

صاحب الوجارات ومالك مفاتيحها يضحك كثيراً لأنه كسب الرهان مرة أخرى. لقد راهن على دور اللهثان وتراقص الذيل في إسكات التفكير عند بني كلب وكسب جولة أخرى.

وجار= جُحرُ الضّبع والأسد والذّئب ونحو ذلك، واستعاره بعضهم لموضع الكلب.

النّصفُ الآخرُ

بينما كانت الشمس تملأ دلوها عند ضفاف درب اللبانة، انجذب إليها القمر لبهاء طلعتها وحُسن أدبها فطلب يدها من سيد الأبراج الذي كلل زواجهما وأهداهما حيِّزاً من السماء لا تصيبه الشهب ولا تنكد صفاءه النيازك.

وبعد سنوات من عشق كوني ولقاء حميمي أنجبا أسرة عُرفت بالمجموعة الشمسية نظراً لتقديس الأنثى في غابر الأزمان. وذات يوم مرت نجمة حمراء رقيقة المشاعر تورد لها خد القمر وكتب لها قصيدة على صفحة سحابة كونية. شُدّت النجمة وصويحباتها بحروف تلك القصيدة فالتهبت مشاعر المجرات وتراقصت حتى المجون حتى خاف الجميع من تصدع البنيان. أضحت سيرة العشق المحرم بين القمر والنجمة العابرة حديث النجوم فغارت الشمس وتمردت طالبة الطلاق. أيدها عرَّاب الزواج سيد الأبراج وحكم على القمر بالسجن الأبدي في ظلام دامس معزولاً عن باقي خلَّانه في عالم الكواكب. مرت السنوات حتى ضمر القمر وتضاءلت جاذبيته وأصابه القحط والجفاف، فغدا خالياً وحيداً حتى من ربيباته الفطريات. كما أصيب بمرض عضَّال أفقده توازنه، فأخذته ابنته الأرض في رعاياتها فأصبح لها تابعاً.

تدخّل ولداهما عطارد والمشتري كما الزهرة لدى سيد الأبراج طالبين الرحمة والرأفة بوالدهما قمر. بعد نقاش مرير تنازلت الشمس عن بعض حقِّها تحت إصرار القاضي الذي وافق أن تكون الأرض وصية على والدها لانشغال الأبناء الكبار في مسائل كونية. لكن كبرياء القمر لم يسمح له أن يقبل بأن يكون عالة على ابنته فيكلفها أكثر من طاقتها لتمده بأسباب الحياة، فاعترض على الأحكام الجائرة وتمنى أن ينفوه إلى أقاصي الكون حتى يموت بسلام في برد العدم.

وبعد أخذ وردّ وتهديد الأرض لأمها شمس أن تذهب لدار الأيتام إن لم تحترم والدها وتمنحه حياة كريمة فبعد كل شيء لن تتنازل عن والدها مهما حصل.

أخيراً أمر القاضي بأن تمد الشمس طليقها القمر بنصف حاجته من النور شرط ألاَّ ترى ابنته الأرض وجهه الأجمل أبد الدهر. ومنذ ذلك اليوم والقمر يدور حول الأرض ليريها نصفه الآخر دون جدوى.

قُرْبَانٌ

ما زلت أدقِّق في وجوه الجميلات والقبيحات، أنزع الأقنعة... أغسل المساحيق، أزيل قناع خدٍ أسيل وأعبث بين طيات تجاعيد لم تأبه لها أنثاها. لكنني لم أعثر على دليل يرشدني إلى من تمردت على قلبها، مزقت نياطه في لحظة تحرر من رجل شرقي يسكنني بعد أن أطلَقت رصاصة حريتها على صدرٍ طالما غشيها حباً.

التقينا ذات حبٍ عند رافد عشقٍ، فشربنا من كأس واحدة حتى الثمالة، وعقدنا ميثاق الوفاء زواجاً بشت له الكائنات فرحاً. في البداية ظننتني تزوجتها يوم قطفت ثمار جمالها بشراهة وجشع، واستنزفت طاقتها دون شبع، بل دون حرص منها أو تقتير. لكنني تملكتها حتى أدمنتها فنَمت شجرة غيرتي خوفاً عليها من عين عابرة تبتهل لجمالها أو نسيم صبح يُلامس ثغرها فيرتشف رقتها. كشَّر وجه رجل شرقي يسكن أعماقي، مطالباً إياي بالصرامة وزجها في زنزانة تقيها شر العيون وتمنع عني بلاء السفهاء. ففي أعماقي رجل ربَّاه المجتمع على سيادة الذكر ووكله سيداً بالنيابة، رجل كنت قد تناسيته تحت وطأة نشوة الحب. لم أطالب بِمُلكٍ توجني عرشه المجتمع، بل اعتليت عرش ذكوريتي فوراً وضربت رعيتي بيد من حديد لأنني سيد العبيد. قابلتني بلحن وجودها وتراتيل نبضها الإنساني معتبرة تصرفاتي نزوة وظنت أن قسوتي عابرة. لكن خُبث أنثاها ما كان لينطلي على رجل يتملك أي أنثى تقع تحت ظلال خيمة رجولته المزعومة. قيدتها بسلاسل عصيبتي إلى جذع شجرة غيرتي في سجن أنانيتي حتى أرديتها سبية نزواتي. حاولت التملص تحت ادعاءات الحب حيناً والمساواة أحياناً، فأَصْلَحْتُ أمرها بقبضتي حتى انزوت وضمرت نضارتها.

وذات فجر لعين قارَبَها شيطان الحرية فأعلنت العصيان. تمرّدت، حطّمت السّلاسل وصممت على الانعتاق من حب قديم أصابها بلعنة العبودية. قاومها قلبها، حنَّت مشاعرها واتخذت لها ألف عذر تعرفه امرأة شرقية خير المعرفة. لكنها أصرت على الفرار والعصيان إلى حيث

تشرق شمس العدالة. هبت فرائصها مذعورة صائحة: أنتِ أنثى، أنتِ ضعيفة، سيكرهكِ المجتمع كونكِ تمردتِ على سيدك. سيظن بك الجميع سوءاً وسيرمونك بألف لعنة كونك تتمردين على حقيقتك كأنثى. ألا تعلمين أن الأنثى تابع... تابع... تابع.

تمرّدت على قلبها، لعنت فرائصها وقالت: ولدت حرة وسأبقى. لن أستسلم لحب يُسعرني في أُتون* عُرف ملعون، يجعلني عبدة بعدما كنت سيدة نفسي. أليس الحب الحقيقي هو صفوة الحرية؟ لن أبقى مع رجل لا يدرك إلا مفاتني، كما لا يدرك من الحيوان إلا طعم لحمه. لن أكون فريسة لمن اتخذ الحب طُعماً، فرمى صنارته مُطعَّمة برياء كيانه في بحر وجودي.

طلَّقَت مشاعر المذلة يوم صَفَقَت باب قلبها في وجهي صداً، ومسحت من قلبها عنوان فؤادي. امتطت جواد تمردها وانطلقت في صحراء قاحلة صنعها وجودي، غير آبهة بكثبان جبروتي وثعابين نفاقي الواهية.

لم أقتنع بفرارها إذ إن شيطاني قد أوغر لي بأن تلك السافلة قد أحبَّت غيري، فجن جنوني، حيث أصيبت رجولتي بسهم الردى، بل فحولتي بمقتل إذ كيف ينافسني فيها كائن آخر، بل كيف يشتمّ رجل آخر فوعة* طيبها. حملت سوطي باحثاً عنها كيما أؤدبها وأعيدها سيرتها الأولى. لكنها تلاشت بين طيات الهجران وكثبان الضياع فقررت نسيانها والبحث عن ضحية أخرى من سبايا الوطن.

مرّت الأيام كلّها سواء، ضياع فكر وانطواء. شيء ما ينقصني أرَّق وجودي رغم حظوتي ببعض حواء، شيء ما غادر كينونتي فظننتني أسكن بعداً آخر لا ينبت فيه زهر الحنان، ولا يستجيب لحنين. لم تعد تلك الشفاه تهمس تراتيل حب خالد، ولم تعد شموع أناملها تضيء درب سكوني. قلَّدَتها القيان وتمايلت أجسادهن كغصن البان، كعرائس العيد دون روح تتخللها أو هواء أنثى يحمل طيب عشقها. أدركت أن السجَّان أصبح سجين حريتها، وأن أصفاد حريتها قيدت مشاعري فأدركت أن حبها حريتي وحريتها مساواتي.

هأنا أُرَاوِح بين حاضر وماضٍ، أجمع سويعات مبعثرة، باحثاً عن بقايا وجهي بين تجاعيد القدر. عن عشق أخفاه في البيداء ضب أو حب لم يباركه الرب. فهناك على الخد ندبات قُبل، براعم عشق أفل ذبلت ذات هجران على سِيفِ* المرار، قاذفتها أمواج التيه بين جزيرة شقاق وشاطئ فراق، إلى أن وجدت نفسي بين تجاعيد كهل حيزبون *نسيها نيطل* فغادرها الردى. تحترف

السفر وسرقة قُبَلٍ حنَّطها الهجران في معبد الوله وتجمع بقايا حنان العاشقين لتقدمه في عيد الموتى قرابين.

اشتممت في جعبتها عطراً أعرفه ولفحني من جعبتها نسيم حواء عشقتها. ساومتها لأحيي لحناً كتبته عاشقتي ذات حب فوجِلَت، إذ أدركت أن شغاف قلبي قديمة مزقتها خربشات وَجْدٍ قديم، فما عاد يرتد إليه الصدى ولا يعكس من اللحن أطياف حبيبة ألغت وجوده من كيانها. صفقت بوجهي أبواب الفصال، وقالت إن وجودي مرض عضال والشفاء منه محال. قلت لها أنا عاشق تائب أسعى أن أقدم وجودي قرباناً وأشعاري بخوراً وألحاناً.

ضحكت من حروفي وأردفت بعض الشتائم تفاهة فتلاشت رجولتي كما يتلاشى النور في الظلام. وفي لحظة ذهولي وتأكدي من فنائي مدت يدها إلى جيد أحلامي، وسَطَتْ على عقد ورثته عن القدر، حبَّاته عشر يتوسطها حجر. حبات من حنين وهجر، من رحيل ولقاء، من أُنْس وجفاء، من لهفة واجتواء*وشقاء. والوسطى حجر بلا ضياء.

أمسك بي العسس بعد جنون أرق البشر. فقضى القاضي بجنوني إذ كيف أعشق من لا وجود لها، وأهيم بحورية من خيال لم يسمع بها إنس ولا جان.

أخبرته أن نور قلبها يضيء مساحات وجودي، وترانيمها تجاوزت حدودي، بأنني ظلمتها، وأسعى لرد حقها من حُب وهيام ووفاء لا يُضام.

تأكّد من جنوني وانهيار صفاتي، وأن الموت تناساني مذ أخبرته عن ينابيع جِلَّق* وسحر بابل بجنائنها المعلقة.

سلَّمني بعدها إلى الحيزبون، لتقدمني قرباناً عندما تعود إلى بابل قهقرى.

أُتُون = الموقد الكبير

فوعة = رائحة الطيب

سِيفْ = شاطئ

حيزبون = عجوز سيئة الخُلُق

نيطل = الموت

اجتواء= كره المقام

جِلّق = دمشق

ولادة معبد

تسلّل من تحت ستارة الخيمة إلى حيث حُجِر على جسد السّاحرة ومدّ يده متسللة بين أغصان يابسة كوَّنت محرقة عظيمة سُجي عليها جسد لعنه الكهنة. شعر ببرودة جثمانها الذي قضى بضربة على الرأس لبرهة وجيزة. تتحسّس جسدها حتى أمسك بالعُلبة فسحبها بدقّة اللص المحترف. بدأ قلبه يخفق ويتصبّب جبينه عرقاً خوفاً من أن يسخطه حراس العُلبة إلى حيوان نجس أو أن يرسلوه إلى حضيض الجحيم. خوفه الأكبر من أن يُمسك به الحرس فيموت حرقاً مع الساحرة التي تكوّم جسدها فوق تلة من جذوع الشّجر وأغصانها اليابسة بانتظار شيوخ العشائر الذين مرَّت بهم الساحرة ورسمتهم على علبتها. أفتى الكاهن الأكبر بوجوب حرقها فور تجمّعهم وبحضور كلّ من مرت به السّاحرة خوف من أن يكون قد أصيب بلوثة لا يغسلها إلا حضوره مراسيم حرقها واشتمام رائحة فناء تلك الأنثى الغريبة الجامحة الحضور والجمال في روح شيطانيّة تسحر الألباب غصباً.

أخذ تمُّوز العلبة وأخفاها في عُبِّه وخطف طريقاً بين قطع من الليل إلى غار مرتفع في جبل غير بعيد ليبتعد عن البشر وعيون العسس. كانت أوصاله خائفة واجفة من التصاق العلبة بها خوف أن تتلبّسها الشياطين أو أن تُغضب عليها الآلهة. فهكذا أيقونة غريبة قد تكون مقدسة أو ملعونة لا يمسّها إلا من اصطفاه سيدها أكان شيطاناً أم إلهاً. لا أحد يعلم الحقيقة، الكهنة وصفوا العلبة بروح إبليس وألصقوا بها تهمة السحر والشعوذة بتلك القادمة من بلاد النّور كما تدَّعي فاعتبرها بعض المتنورين نبراس أمل. لم تتكلم لغتهم عندما حطت في ديارهم بقوامها الرشيق الذي يضيء كل تفاصيلها الأنثويّة من تحت ألبسة لم يعهدوها لأنّها بألوان وتفاصيل فاقت ألبسة الكهنة والملك جمالاً وسحراً. لكنها سحرتهم ببلاغتها وعمق درايتها وشجاعتها بعد فترة وجيزة. ساعدت كل البسطاء وأضرمت النار في مواقدهم التي أطفأها الكهنة باعتبار النار المقدسة تقديساً كهنوتياً لا يجدر بالرّعاع أن يدنسوه حتى لو مات برداً. كانت النّار مطواعة لها، إذ بلسمة غريبة على قطعة معدنية تستلهم ناراً مقدسة تهبها للفقراء، فيشعلوا مواقدهم الخامدة. كما أرتهم صورهم على زجاج مصقول

في دقة تضاهي الحقيقة. خافها الجميع رغم انتصارها لهم وانتظارهم لها، قدّمت الكثير خاصّة عندما كانت تنذرهم باقتراب العواصف لكنّ الرّعب أصابهم عندما أنذرتهم بزلزال عتي هزّ المدينة من أقصاها إلى أقصاها ودمر كثيراً من بيوت الرعاع. خافوا من علمها الشّيطانيّ الذي قال عنه الكاهن الأكبر "لَبوسٌ، لَبوسٌ" فاجتنبها البشر إلا قلة متنوّرة منبوذة من المجتمع كونهم يتعاطفون مع أصحاب السّحر الأسود.

أخذ تمُوز نفساً عميقاً ولمس دائرة رمزيّة على الجهاز فضاء الزجاج المصقول فرأى ألواناً براقة ذات أشكال هندسيّة ساحرة لثوانٍ ثم اختفت. حاول لمسه مرة أخرى فلم يرَ سوى نفس الصورة لبضع ثوانٍ أُخر قبل أن يعود السّواد المطبق على سطح العلبة البلوريّ. أعاد الكرة مراراً وراقب عن كثب خطوطاً تظهر وتختفي. كان تمُوز ذكياً جداً ينبذ كلّ العادات والتّقاليد الموبوءة بالجهل ولا يؤمن بالسّحر والشّعوذة رغم خوفه من أن تكون حقيقة. شيء ما يصارع كيانه ويتحدّى ذكاءه الوقّاد فهو دائماً يوازن بين الأعراف وسلطة الكهنة المقدسة واقتناعه الشّخصي الذي يضعه دائماً تحت مجهر حقيقته. فهو يرى بأنّ لكلّ حدث علّة منطقيّة وأسباب يستطيع هو شخصيّاً أو أيّ متبحّر في كينونته بالتّدقيق والاختبار. كما أنّ تجاربه الشّخصية أنارت له دروب الحقيقة فعرف أنّ الأوثان كذبة كبيرة وأنّ الكهّان لصوص همّهم سلب ثروات الشّعب وطمس بصيرته عن الحقيقة بأي وسيلة حتى القتل لمن يمسك بطرف من الحقيقة.

عاد بذاكرته إلى يوم رأى فيه الغريبة في حلقة عند ناحية مهجورة وقد التفّ حولها المتطفّلون والمتنورون والسّاعون إلى اقتناص نظرة من سحر حورية قادمة من مجهول. تجرّأ عدد منهم، وطلب رؤية صورته غير آبه أن تسخطه أو تسلب روحه نظرة بين يدي أنثى بارعة الجمال ذكية جريئة تساوي عمراً يقضيه بين رعاع يرتعون بجهلهم سعداء سعادة الماشية عند رابية غطّاها الكلأ. تذكّر بأنها كانت تضع إبهامها على سطح العلبة فتستجلب صوراً وأصواتاً، بل أخبره البعض بأنّهم رأوا كوناً كاملاً ... لم يصدّق لكنّه الفؤاد لا يكذب ما رأى.

وضع إبهامه دون نتيجة تذكر، أعاد الكرة مراراً دون جدوى. أغمض عينيه وجال في التّفكير حتى توصّل إلى أنّ الإبهام يجب أن تكون إبهام صاحبة الجهاز فقفز فرحاً، أخفى العلبة في ركن ما في الغار وقرر العودة إلى أسفل الجبل ليقتصّ إبهامها من حيث هي مسجاة بين أوتاد الخشب تنتظر العُهر الكهنوتي في إثبات شيطنتها تكريساً لسلطانهم. قرر التّخلي عن مبادئ الرحمة وصون جثث الأموات وعاد بيدها مبتورة في جعبته بعد رحلة ظنّ مراراً أنها الأخيرة في حياته.

أخذ نفساً عميقاً مرات ومرات، أصابته قشعريرة الفناء أكثر من مرة خوفاً من المجهول الذي يكتنف العلبة بأسرارها الإلهية التي تتخطّى كل مفهوم بشري يدركه. قرأ على نفسه طلاسم دينيّة لا يؤمن بها تعلّمها من بيئته وكهنة المعبد خلال المناسبات التي تقتحم حياة كل فرد غصباً وكرها علَّها تردع شراً لا يدرك ماهيته. خائف من المجهول في غارٍ منزوٍ ترتاده الشياطين والسّحرة كما يزعم أهل البلدة. أمسك بإبهامها، وضعه على مسطح العلبة فضاءت وأصدرت كلاماً لم يفهمه. قفزت عيناه إلى سطح العلبة منبهرة بأيقونات عديدة تتمثّل بأشكال هندسية ثلاثية الأبعاد مزركشة بألوان وخطوط متناسقة. لم يدقّق بالمحتوى ولم يفهم مقولة الصوت بل خَرّ مغشيّاً عليه بلا حراك.

تقاذفته الأحلام بين كابوس وآخر. ها هو فارس أسود يجلده بسوط من نار لأنه تجرأ ولمس العلبة، قفز من مكانه مرتعداً، قرأ بعض التعاويذ وتكوّر على نفسه مرة أخرى. وحوش كاسرة تحرس سر العلبة بدأت تنهش جسده فيما يسمع سيدها يقول: قطعوه إرباً فقد تجرأ على أيقونة سيد الكون. انتفض مرة بعد مرة حتى قضت الكوابيس على قواه فخر صريعاً. بعد وقت طويل ألهبته أشعة الشمس المتسلّلة من فتحة جانبية فصحا مرعوباً يبحث عن كنزه. بشّت سرائره كمن عاد للحياة بعد فناء إذ وجد العلبة مكانها واليد المبتورة إلى جانبها. أخذ يتمعّن فيهما ويدرسهما جيداً قبل الاقتراب مجدداً. كيف سيسبر أسرار العلبة التي بدأ يستشعر إنسانيتها وأخذ يتساءل عن عظمة صانعها أهو فعلاً بشر أم إله مبدع؟ هل ما في هذه العلبة سحر وكهانة أم تسخير لمقدرات هذا الكون؟ ارتعد من المقارنة إذ كيف لبشر بدائي أن يتخيل نفسه صانعاً لمثل هذا الإبداع؟ فجأة خاف من سؤال طرحته نفسه: كيف ستفتح أسرار العلبة يا تمُّوز إذا ما تآكلت اليد بعد أيام؟ كيف ستتصرف؟

ارتعب وانتفض وهو يشعر بأن الوقت ضيق أمسك بالعلبة بجرأة أكبر مما مضى وحواسه متحفزة لسبر كل تفصيل فيما سينكشف من أسرار. وضع إبهام الجثة على المكان نفسه فضاءت كالأمس وسمع الصوت نفسه مرة أخرى. صرخ بصوت متهدج: ماذا تقولين لا أفهم منك شيئاً؟

رد صوت من العلبة قائلاً بلغته: إذن تتكلم الآرامية.

رد بعصبية واندهاش: نعم

قالت العلبة: أتريد تغيير اللغة إلى الآرامية؟

أجاب بلهفة: نعم

فجأة، ومضت العلبة مرَّات عدَّة وبان تحت كل أيقونة عنوان بلغته. فرح كثيراً أن الآلهة استجابت له فشكرها رغم يقينه بأن هذه العلبة لا تمت للآلهة بشيء. لكن العقل الباطني المتشبع بالموروثات كان سبّاقاً ليعطيه حقنة شجاعة وأمل فوجد سبباً للشكر سرعان ما رفضه عقله. فقرر محادثة العلبة وقال: ما أنت أيّها الصندوق؟

أجابت: أنا لست بصندوق إنّما جهاز معلومات شامل.

قال: لم أفهم؟ ما فحواك بالضبط؟

قالت: أساعدك على معرفة ما تريد وتحديد الأماكن وتاريخها.

قال: وماذا عن الصور المرسومة على صفحتك؟

أجابت: هل أنت مستخدم جديد لهذا الجهاز؟

رد بانفعال: جهاز.... نعم مستخدم جديد.

قالت: هل تريد أن تحدد استخدامه بك؟

نعم نعم... قالت ضع إبهامك على الدائرة مرَّات عدَّة.

وضع إبهامه عدة مرات، فأخذ يرى تفاصيل بصمته دون أن يعرف ما هي حتى ملأت الشاشة وعاد الصوت من جديد: أتريد أن تتعلم خواصي.

قال: نعم.

لم يكد يقول ذلك حتى ظهر شعار على الشاشة يقول: نفذت الطاقة وانطفأ الجهاز.

حاول وضع إبهامه فلم يفلح وضع إبهام اليد المبتورة ولم يحظَ بما يشرح صدره. كاد أن يرمي بالجهاز على الأرض لكنه خاف العواقب وأخذ يسأل نفسه عن الخطأ الذي أزعج الجهاز فانكفأ عنه. لكنه تساءل عن معنى نفذت الطاقة، من أين سياتي بطاقة؟

لم يسمع هذه الكلمة من قبل إلا في المعبد ولم يكن قد ربطها بمعنى آخر، فهي بالنسبة إليه كلمة مقدسة لا يعرف سرّها سوى الكهنة. ومن يجرؤ على سؤال كاهن عن معنى كلمة مقدسة؟ بقي على حاله حتى ضاقت به السبل فسقط في نوم عميق إلى صباح اليوم التالي. مع إشراقة الشمس

حمل الجهاز بيده وجلس على باب الغار يتمعّن في الجهاز وكيفية بعث الحياة فيه أو بالأحرى مصالحته ليعود إلى حواره، فقد استشفّ أن في هذا الجهاز سراً كبيراً يدعوه لاستكشافه. فجأة رأى وميضاً من الجهاز فقفز فرحاً وهو يقول: عاد ليكلمني .

وضع إبهامه فأصيب بخيبة أمل. مرة بعد مرة باءت محاولاته بالفشل. تركه وعاد للتفكير وغرق إلى حد نسي معه الأكل والشرب حتى استغاثت جوارحه عَطِشى جائعة. بحث في الغار فوجد كوز ماء كرعه بسرعه، وعاد إلى جلسته يتأمل كينونة الجهاز إلى أن ضاء الجهاز وقال تمّ الشحن بالأشعة الشّمسيّة. وضع ابهامه فضاءت الشّاشة وقال الصوت: أتريد متابعة تعلّم الخواص:

صرخ بلهفة حاملاً الجهاز إلى ركن قصي في الغار وأخذ يستمع ويستمع وهو يرى الصّور والإشارات تتابع مع كل ارشاد ودرس. أمضى مع جهاز الكومبيوتر المتنقل أياماً بل أشهراً لا يترك غاره إلا لإحضار الطعام والشّراب من دون أن يكلّم أحدًا. وعندما يسأله سائل يقول أنا في عزلة عنكم أيها الرعاع.

ذاع صيت تمُوز المجنون الذي أصابته السّاحرة بلوثة قبل حرقها، حتى وصلت الإشاعة بعد فترة إلى أحد الكهان الذي حمل الخبر إلى الكاهن الأكبر قائلاً: لدينا صيد ثمين، الناس يتحدثون عن لوثة مواطن يدعى تمُوز بجنون من جراء تلك السّاحرة التي حرقناها.

صمت الكاهن الأكبر وأخذ يكلّم نفسه: تلك المرأة القادمة من عالم متقدّم رفضت مشاركتي علمها وسرّ علبتها حتى قويت شوكتها. لكنني أوقعت بها من أجل صندوقها الذي اختفى. لا بد أن هذا العبد قد سرق العلبة.

انتفض وصرخ بوجه الكاهن: أريد هذا اللعين حيّاً مهما حصل.

الكاهن: هل ستحرقه كذلك؟ هل أهيّىء المحرقة في المكان نفسه.

الكاهن الأكبر: احضره أوّلاً ومن ثم سنقرّر، لكن عليك أن تعلم بأن تمُوز هذا أخطر من السّاحرة لأنّه من هذه المدينة.

تعلّم تمُوز بأن الجهاز يحتوي على أشعة قادرة على إحراق أي شيء واختراق أي شيء. كما تعلّم بأن يضع الجهاز في ضوء الشّمس لمدة ساعة كل بضعة أيام ليستمد طاقته من الشّمس إذ لا يوجد طاقة كهربائيّة في عصره. كما تعلّم تصوير ما يشاء واستعادة الصّور ببراعة. تعلّم عن المستقبل والحاضر ومعظم العلوم ببريق ذكاء فطريّ وقاد، نبذ كلّ التّخاريف والكهانة والادعاءات

بعد أن وجد تفسيراً لمعظم تساؤلاته. لكنّه ما زال متحيرّاً من وصول هذا الجهاز إلى عصره. وسأله: من تكون أيها الجهاز؟ بل من أين جئت؟

رد الجهاز: صنعني بشر مثلكم كانوا على وجه الأرض منذ آلاف السنين.

استغرب تمُّوز الأمر وقال: كانوا هنا!!! أين هم الآن؟

الجهاز: منذ آلاف السّنين توصّل الإنسان إلى ما تعلّمت وإلى علوم أعظم بكثير. لكن حصلت كارثة طبيعية تداركها بعض العلماء ففروا إلى كوكب آخر بوسائل عديدة واستوطنوا هناك فيما عاد الإنسان على كوكب الأرض إلى بدائيته.

تمُّوز: ولم عادوا؟

الجهاز: كل بضعة قرون يرسلون رحلة استكشافية ليساعدوا أجدادهم في التّطور حتى يأتي يوم يمتزجان.

تمُّوز: إذاً صاحبة الجهاز قبلي بشر.

الجهاز: نعم بشر واسمها سولا جاءت في مركبة فضائية وستعود بها بعد أيام حيث تكون قد أكملت مهمتها.

تمُّوز: لقد أحرقوها فكيف ستعود؟

الجهاز: انقطعت إشارات حياتها منذ يومين ولكن هذا الأمر لا يعنيني بل يعني من سيأتي ليأخذها.

تمُّوز غاضباً: الأمر لا يعنيك وقد كنت بحوزتها.

الجهاز: أنا مجرد مادة لا تحمل مشاعر بشريّة. أنا مجرد جهاز كانت تحملني معها لتقدّمني إلى إنسان على سطح كوكبكم لديه القدرة على التّعامل مع أبناء الأرض المحدودين ويعلّمهم الحضارة.

تمُّوز: إذاً عليَّ تعليم باقي الكوكب؟

الجهاز: نعم، وأنا مبرمج على مساعدتك أو مساعدة أي كائن لتطوير كوكب الأرض حتى يصبح قريباً من ذكاء من صنعني وأرسلني كي أكون لكم معلماً.

تسمّر تمُّوز للحظات طوال وقال للجهاز: أنا جاهز.

تعلم تمُّوز الكثير وحفظ الكثير وبرع في استخدام الجهاز وبدأ يهيئ نفسه للعودة إلى المدينة معلناً نفسه معلّماً. شعر بذلك بعدما تفتحت أمامه أبواب العلم والمعرفة وأدرك بأن أسرار العالم لها مفاتيح معرفة متى تملّكها يستطيع العمل على حلّ ألغاز كثيرة بالتّفكير والعمل الدؤوب مما سيرفع من شأن أبناء وطنه ويتخلّص من زمرة الكهنة الذين يستعبدونهم. راجع بينه وبين نفسه عدة مواقف وتهيأ لاستخدام القوة مع الكهنة لو أضطره الأمر. وضع نصبَ عينيه بأن في الجهاز علماً هو ملك لهذه المدينة بل لبني البشر جميعاً كما كرر الجهاز مرات ومرات.

وذات صباح بعدما شحن الجهاز بالطّاقة وتهيأ للنّقاش نزل إلى المدينة في وضح النهار حتى يوجّه دعوته. رآه أحد العسس الذي أخبر سيده، فالكاهن كان قد أصدر تعليماته بوجوب إحضاره حياً مهما كلّف الأمر. اقتربت منه كتيبة وطلبت منه الحضور إلى معبد الكهنة فقال: سأكون في السّاحة فليحضر الكاهن ولينـاقشني على مسمع أهل المدينة فمن اليوم وصاعداً أنا المعلّم.

نظر الحرّاس إلى بعضهم البعض ضاحكين قائلين: لقد جن تمُّوز المزارع البسيط. لا بد أن يقتله الكاهن الأكبر حرقاً كما فعل بمن سحرته. بل أنا من سيقتله.

قال زميله: تمهّل فالكاهن يريده حيّاً.

لم يتحمّل الحارس المؤمن أن يهان كبير كهنته فاستلّ سيفه وهجم على تمُّوز صارخاً: سأقتلك أيها الكافر.

بهدوء وسكينة أطلق عليه تمُّوز ومضة لايزر فأرداه قتيلاً. همّ باقي الحرس فصرعهم جميعاً. سرت الحادثة سير النار في الهشيم فعمّت المدينة شائعة تمُّوز المسحور العائد بقوى شيطانيّة ليسحق المدينة بأهلها كما بثّ عسس المعبد. أصبح النّاس سدّاً منيعاً حول تمُّوز، مشكّلين دائرة تحدّ من حركته رغم تركهم مسافة بعيدة خوفاً من بطشه. حاول مخاطبتهم وإفهامهم بأنّه عاد ليصلح أمورهم ويحسّن من أوضاعهم وبأنّ لديه علماً غزيرًا ساقه الإله الأكبر لينقذهم من عبودية الكهنة الكاذبة بل وعدهم بأن تكون رفاهية الآخرة التي يعدهم بها الكهّان ستكون ملكهم في وقت قريب. لم يصدقه أحد.

نادى عليهم خاصة على من يحب، واستشهد بماضيه الحافل بالمحبة، لكنّهم كانوا على جواب واحد: أنت شيطان مسخوط يجب التّخلّص منك.

تمُّوز: أنا أحبّكم وقد عدت إليكم بالخير أعدكم بعدم إيذاء أي منكم.

كانت العصبية الدينيّة والولاء للمعبد أكبر من أنْ يصدق الرعاع مقولة ابن المدينة العامل المقهور البسيط. ظهر الكاهن الأكبر فجأة واقترب منه فيما الناس والحرس بعيدين وقال له: أعلم سرك، لماذا لا نتفق ويكون لك شأن.

رد تمُّوز: لا يمكنني مشاركتك الكذب والبهتان.

الكاهن الأكبر: بل ستشاركني السّلطة ويمكنني أن أعينك ملكا بدلاً من ملكنا الحالي.

تمُّوز: بل أريد نشر العدالة والعلم والمعرفة.

الكاهن الأكبر: دعك من الرعاع، مستقبلك بين أروقة المعبد.

تمُّوز: لا يمكن التّفاوض معكم أيها الكهنةُ اللصوص، يا مصاصي الدماء، وناهبي أبسط حقوق الشّعب. لا، لن أكون عوناً في استعبادكم لشعبنا.

الكاهن الأكبر: يا هذا أعرف أنّ سرّك في هذه العلبة التي قد تكون سرقتها من جثة السّاحرة. نصيبك سيكون مثلها سنحرقك تماماً وسأستولي على علبتك وأعرف سرّها.

تمُّوز: أنت كاذب، لا تعرف شيئاً.

استشاط الكاهن غيظاً وتراجع إلى رئيس حرسه وقال اشغلوه قدر المستطاع، يوماً بعد يوم فسيسقط من التعب في النّهاية. إياكم أن يفلت منكم أو أن يسترق لقمة أو شربة ماء.

قائد الحرس: لديه سلاح شيطانيّ سحريّ.

الكاهن الأكبر: لا تخف لن يقتل إلا إذا شعر بخطر .حاصره من بعيد ولا تتركه يفلت من أيديكم... سيسقط من الإرهاق.

كان في جعبة تمُّوز بعض الزّاد والماء مما ساعده على الصّمود تحت أشعة الشّمس الحارقة. لكن التّعب والإعياء أخذا منه القوة والتركيز. لم يشأ أن يقتل أحداً لينفذ من طريق ما هارباً، كما أن

كبرياءه واعتداده بنفسه منعاه من التّخاذل والتّملق إلى الكاهن الأكبر. وما إن حطّ صباح الفجر التالي حتى بدأ يترنّح كالسّكران التائه، فأخبروا الكاهن الأكبر باقتراب النّهاية فجاء مهرولاً من دون الالتفات إلى الطقوس الكهنية. اقترب من تمُّوز الذي وجه إليه الجهاز قائلاً: لو اقتربت أكثر لقتلتك.

صاح الكاهن الأكبر: أتسمعون يا عباد المعبد يريد تمُّوز قتل كاهنكم الأكبر... ما أنت فاعلون؟

الجماهير: نقتله فداء لك وللمعبد.

الكاهن الأكبر: بل نحرقه مع علبته الشيطانية حتى نطهّر هذا المدينة.

الجماهير: أحرِقْهُ قربانا.... أحرِقْهُ قربانا.

بدأ صراع الحياة والموت ينازعان تمُّوز الذي كان يعرف بأن في الجهاز برنامجًا للقتل الجماعيّ يمكنه به إبادة المدينة لكنّه في داخله لا يريد إلا أن ينهي عصر الكهنوت وينتقل بهم إلى عالم الحريّة الحضارة فما قرأه وتعلّمه عن أخبار المستقبل وتطور العلم جعله يؤمن بأن ما حدث ليس صدفة بل هو تكليف من الإله، ليحرّر البشر ويعلّمهم ما يحرّرهم من عبودية الكهنة وينطلق بهم ليسخِّروا هذه الأرض لصالح البشريّة ويعيشوا في رخاء فكريّ وبدنيّ. لم يكن لديه أدنى شك بأن ذلك الجهاز ما هو إلا رسول من كائن أسمى وأعظم مما قال الجهاز. كما أن ذاك الإلهام الذي دفعه للمخاطرة بحياته لم يكن صدفة كذلك. اقتنع بأنه قد تمّ اختياره لأنه الأفضل، تم اختياره رسولاً ليصلح شأن قومه ويرشدهم إلى العلوم الصّحيحة وينهض بهم بوجه طغيان الكهنوت والطّبيعة على حد سواء. فالكهنة يستعبدون القوم بمعجزات واهية بل كاذبة جعلت من الآلهة وسيلة ترهيب وتخويف تسلب كل إنسان حقه والطبيعة عاتية لمن لا يعرف التعامل معها. صاح بأعلى صوت: أيها الناس قد جئتكم بخبر السّماء لأنقذكم من هذا البلاء، جئتكم بالعلم والمعرفة والإيمان الصّادق بإله واحد يملك زمام الكون، إله لا يعرف إلا الرحمة ولا يلجأ إلى التعذيب والانتقام، إله لا يعرف الكذب والتّدجيل ولا يسلبكم أعمالكم قرابين يسرقها الكهنة. أيها النّاس جئتكم رسولًا، فتمرّدوا على ذلكم وقطّعوا أصفادكم، وانبذوا الكهنة وديانتهم التي تستعبدكم، وتستعبد أطفالكم ونساءكم.

أخذ نفساً عميقاً وسقط على الأرض مغميّاً عليه.

في لحظات سريعة كانت كومة الحطب تتوسّط السّاحة وقد أسجّيَ عليها جسد تمُّوز الذي كان ممسكاً بالجهاز بقوة. خطب الكاهن الأكبر فقال: ها أنتم قد أدركتم بأن تمُّوز قد تلبسته الشياطين

وبأن هذه العلبة التي كانت بحوذة الساحرة قد وصلته عن طريق الأبالسة. وقد وصلته هذه العلبة المشيطنة بما فيه من أرواح شريرة من رسولة الكفر التي أحرقناها، لا بدّ أنّ روحها السّوداء تقمَّصته ليكمل شر ما تريد. وها قد رأيتم حرص آلهتكم عليكم فحاربته حتى خرّ صريعاً ولا بد من أحراقه مع علبة الأرواح الشريرة فوراً قبل أن تنتقل العدوى إلى أي منكم فتغضب الآلهة وتصلاكم سعيراً.

أمر الكاهن الأكبر أن يكون الحرق منتصف الليل ساعة تجمّع الشياطين كي يكون درساً لها ولكلّ من يريد بآلهة المعبد شرّاً. طلب من الجماهير إحضار القرابين الطّاردة للأرواح الشّريرة من بخور وتعاويذ. ثم أمر بتوزيع العطاء على كل من يحضر عطاءً إلهياً احتفاءً بالنّصر كما أمر بحرق من لا يحضر فوق جثة هذا الشّيطان المتمرد. مال إلى مساعده هامساً: أريد العلبة عندما يحط الليل ودون أن يلحظك أحد.

في الفضاء المرتفع كانت تحوم مركبة فضائية متقدّمة جداً. قال قبطان السّفينة: فقدنا سولا في هذه المنطقة. ثم أردف: لا بد أننا ارتكبنا خطأ ما فنحن لم نفقد أي كان خلال رحلاتنا السّابقة. هل من سبب؟

ردّ أحدهم: أصرّت سولا أن تتحدّث مع الناس، وأن تظهر عليهم مع أن هذا من محرمات الرحلة. لقد تدخّلت بحياتهم مما قد يحدث تغييرا في مجرى التاريخ وهذا مخالف لجميع قوانين رحلاتنا لمساعدة هذا الكوكب المتخلّف.

القبطان: علينا أن نجد سولا أولاً وبعد ذلك نحيلها إلى المحكمة المختصة. هل من أثر لها؟

رد المراقب: بعض الآثار الواهية تأتي من تحت الأرض تدل على موتها. أما جهازها ففي حوزة كائن آخر.

الربان: إذاً اسحبوا الجسم مع الجهاز بواسطة جهاز الاستقبال النائي ثم اسحبوا بقاياها لنتأكد من فنائها.

المراقب: سحب الجسم مخالف لقوانين رحلتنا. يمكنني سحب الجهاز منفرداً.

الربان: أدرك ذلك ولكن قد يساعدنا ما نجهله عن سولا.

بينما ينظر رئيس الكهنة والرعاع إلى الجسد قبل عزله ليتسنى لمساعده سرقة العلبة، إذ بالجسد يرتفع عالياً ويغوص في الفضاء دون رجعة على مرأى من الجميع. هاجت الجماهير وسجد الكهنة وراجت في المدينة مقولة: تمُّوز إله.... تمُّوز صعد إلى السماء مع علبته دون أن يصاب بأذى.

ثارت الجماهير من كل حدب وصوب، فيما تسلّل الكاهن الأكبر الذي يتمتع بدهاء وذكاء ساطعين، وهجموا على القصر والمعبد بعدما قتلوا الكهنة. وما إن وصلوا إلى مذبح الآلهة حتى وجدوا الكاهن الأكبر جاثياً على ركبتيه ناظراً إلى السماء متضرعاً: إلهي تمُّوز أستغفرك وأتوب إليك، لقد أغواني الشّيطان وأبعدني عن الحقيقة. أنت الهي وهذا المعبد معبدك وسيكون تمثالك أعظم من التماثيل.

سجد الرعاع وصلّى فيهم الكاهن الأكبر في معبد تمُّوز.

الرموز

في البعد المكنون خلف عام المجرات حيث تنعدم المادة ويندحر النور خلف عالمٍ لا يعرفه البشر ولا يدركون كينونته. هناك يختلف الزمن كما القوانين الفيزيائية والماديّة فيقاس كل شيء بموازين لا يدركها إلا رمز. الرمز واحد متعدد الوجود، للوهلة الأولى يبدو كل رمز مختلف حسب المعرفة البشرية لكنّهم كيان أكبر مما نعرف من أكوان. فكل الرّموز واحد، وكل واحد رموز متعدّدة يعملون عبر وجودهم بدقة متناهية لا يحلم بها عالم فذّ.

عاشت الرموز فيما نسميه فراغاً ردحاً طويلاً فانبثق الزّمن في انعكاس رمز أتبعه رمز آخر بتشكيل الظلام ثم النور. ولتتألّق الرموز أوجدت الحركة التي تمدها بطاقة تملأ الفراغ الذي يحيق بها. كون بعد كون في سلسلة متواصلة من الإبداع الرمزي أفضى بهم إلى الحاجة لطاقة مختلفة فتفتقت العبقرية عن إيجاد كينونة واحدة في كون لا ينتهي عند مخلوقاتهم تمدّهم بطاقة تضاعف طاقتهم.

كائنات المزارع تتكاثر تلقائياً وتثمر على مدار العام ثماراً متفاوتة الطعم والحجم يقطفها عمال متخصصون لا يكلُّون ولا يحسبون للوقت والتعب حساباً فهم على صنعة متقدمة لا تخضع لقوانين عالمنا. ومن براعة الرّموز بأنها وضعت كائنّا واحداً مع علف متجدّد تكاثر عبر الأزمنة حتى أصبح الإنتاج وفيراً مما أمدّ الرموز بطاقة أزليّة مكنتها من التّطور والتّقدّم الباهرين.

تأتي الأوامر بالحصاد في مواقيت متفاوتة من الرموز لتُقطف كل ثمرة على حدة بوقت محدد ولحظة دقيقة جداً تحدد طعم ولون الثّمرة. تلك الثمرة ما هي إلا سر مخزون في كيانات المزرعة فلا تعرف الكيانات عن ثمرتها شيء لأن الثّمرة بحد ذاتها من «مادة» غيرة محسوسة أو مرئية ولا تقاس بحواس ماديّة تعرفها كائنات المزرعة المبرمجة بمحدودية لا تسمح لها بمعرفة ما يدور في عالم الرموز، معرفة تتناسب مع بيئة ما في بقعة ما من درب التبانة. لكن مع بداية كل

مشروع يطلقه الرموز يتمّ إطلاق نسخة متطوّرة من كائنات المزرعة بعد القضاء التّام على الجنس السابق. ففي النوع الجديد تحسينات تنتج ثماراً أفضل وألذ طعماً. وبعد تدمير المزارع القديمة تقيم الرموز حفلاً في العالم المكنون تجمع فيه كل الثمار فيضج العالم المكنون بخبر المشروع الجديد وأخباره وتتفق الرموز على اللقاء القادم بعد زمن قد يقدره البشر بملايين أو بلايين السنوات. لا عجب في ذلك فالزمن هو وحدة قياسية اخترعها البشر لترتيب حيواتهم وتسيير أمورهم.

تهيئة أرضية الحفل الكوني الأخير كانت تقوم على قدم وساق. العاملون على تهيئة أنواع الثّمار حسب طعمها ولونها وشكلها ينتظرون قاطفي الثّمار الطّازجة من مزرعة الأرض وغيرها من كواكب متفرقة. يتشوّق أهل العالم المكنون لبدء الحفل العظيم لحظة الإعلان عن نفوق برنامج مزارع المجرات الحالي في لحظة لقاء نادرة مع الرموز.

كان المشرف على الحفل الكونيّ على أهبة الاستعداد عندما خاطبته موجة فكرية من أحد الرموز قائلة: الغِ الحفل.

ارتجّ الأمر على المشرف وقال: نعم سيدي الرمز.

صمت قليلاً ثم تساءل: لم حصل هذا من قبل، ماذا حصل؟

قال الرمز عبر فكره العظيم: ألغِ الحفل ووزّعْ المحصول على الرموز بالتساوي بعد أن تتأكد من أن جميع المشرفين على هذه المزارع قد حظي ببعض الثمار من مزرعة كوكب الأرض حتى تتجدد كينونته وتتضاعف قواه.

المشرف: إذاً انتهى عمر مزارع الأرواح.

الرمز: لقد قطفنا ما فيه الكفاية من ثمار أرواحهم. يبدو أن الآفة التي نجربها عليهم قد فعلت فعلها. والجنس التّالي سيكون أكثر كفاءة وعطاء.

المشرف: آمل يا سيدي الرمز أن تكون النسخة المتطوّرة من هذه الكيانات أقل عنفاً وكرهاً.

الرمز: نحن صنعناه كذلك كي نستمتع بأرواح متعدّدة الطعم والوهج، فطعم الروح الفجّة غير الناضجة، والمقطوفة عنفاً غير المسحوقة رعباً، والتي تُنزع نزعاً غير التي تقطف قطفاً. الطباخ الذي يهيّىء الوجبات يدرك السّر كما يدرك صانع النّبيذ سرّ كأسه. القاطفون في طريقهم إليك بكل الثمار.

نظر القائم على الحفل تمجيداً للرموز وطمعاً في عدم إفنائه مع تغيير هذا الكون بكامل عدته وعتاده فهو لم يلتق كينونة أخرى تخبره أنها عاشت في كينونة سابقة إلى البعيد فوجد عدداً لا يحصى من الكواكب تستعر ناراً فيما قوافل السّماء تعج بأكداس الأرواح الطازجة.

قام الطباخ الأعظم بإعداد "الوجبات" حسب برمجته. ووزّع قليلاً منها على العاملين فانتشوا حتى شعروا بعظمة لم يشعروا بها من قبل. تجرّعت الرموز خلاصة شراب الأرواح عبر سنوات لا يحصيها بشر فانتشت وتجلّت وقال عقلهم الجماعي بقرار واحد: العدم لهذا الوجود بكل ما فيه.

اندثر الكون بما فيه وبدأ كون جديد يتشكّل من ذرة صغيرة أعدت لتنشئ كوناً أعظم من كل ما مضى، فيما الرموز في بعدها المكنون تسعى إلى شيء مختلف يشفي غليل طاقتهم الجديدة التي أمدهم بها مخلوق اعتقد لذات مرة بأنه لا يفنى.

فهرس

الإهداء	5
الأبعاد الموضوعاتيّة – د.دريَّة فرحات	7
تُفَّاح	20
فايسو وبوكَّة	25
العميان الجدد	29
الكوكب المربع	38
غيبوبة	44
نجمة الحب	52
أسرار المخدات	55
عقد إيجار	63
أحفورة	73
محاق قديم	76

تأميم الأجساد	82
حصَّالة ذكرياتي	86
زقزقة	91
سباق الغيوم	97
سمعت لحناً	103
ظلّي	108
عصير النجوم ومضة من البعد الآخر	113
غموض	119
واختفى	121
أعدت العهدة	124
التحام	133
الخديج	136
القيصر	165
اللون الثامن	170
المشيمي	176
حرارة مرتفعة	182
حكاية من كوكب زحل	185

بين القبلة والشكوكولا 186

كلبنة 188

النصف الآخر 194

قربان 196

ولادة معبد 202

الرموز 222

إصدارات المؤلف:

1 - الحقيقة رواية

2 - موت شاعرة مجموعة قصصية

3 - عاشق النسيان ديوان شعر

4 - هنا ترقد الغاوية رواية

5 - ولادة شاعر عربي- انكليزي

6 - ولادة شاعر انكليزي- إيطالي

7 - يعيش النظام مجموعة قصصية